



درس هيباتيا الأخير

أرماندو روسا

ترجمة

ناصر الحلواني

درس هيباتيا الأخير

أرماندو ناسيمينتو روسا

ترجمها إلى الإنجليزية

ألكس لاد

ترجمة

ناصر الحلواني

درس هيباتيا الأخير

مسرح

مؤلف: أرماندو ناسيمينتو روسا

ترجمة عن البرتغالية إلى الإنجليزية: ألكس لاد

ترجمة عن الإنجليزية: ناصر الحلواني

كافة حقوق الترجمة محفوظة للمترجم

طبعة أولى

ديسمبر 2021

مقدمة المؤلف

أرماندو ناسيمينتو روسا[1]

درس *هيباتيا الأخير*[2]: استرجاع لقصتها بواسطة الخيال الدرامي.

[1] **أرماندو ناسيمينتو روسا** Armando Nascimento Rosa: هو أستاذ في قسم المسرح، بكلية الفنون المسرحية والسينما، في لشبونة، وأحد أنجح الكتاب المسرحيين البرتغاليين الذين ظهروا في القرن الحادي والعشرين. قام بتأليف ثلاثين عملا دراميا أصليا. ألف 21 كتابا من المسرحيات والمقالات الأصلية عن الدراما، تُرجمت مسرحياته إلى الإنجليزية، والإسبانية، والفرنسية، والإيطالية، والكتالونية، واليونانية، والصربية، والعربية الآن، بترجمتي لمسرحيته "*درس هيباتيا الأخير*"، وحصل على عدد من الجوائز المرموقة. [المترجم]

[2] **هيباتيا Hypatia**: (355م/415م) فيلسوفة، وعالمة رياضيات، ومعلمة عاشت في الإسكندرية. في عصر مضطرب للغاية في تاريخ الإسكندرية . وهي ابنة الفيثاغورثي الشهير "ثيون"، الفيلسوف ومدير مكتبة الإسكندرية، الذي نقَّحت شروحه في علم الفلك، وكتبت تفسيرات وشروحا لكتاب القوانين الفلكية لبطليموس، وشروحات لكتاب المخروطات لأبولونيوس البرجي، وتخصصت في الفلسفة الأفلاطونية المحدث
كانت معلمة ومحاضرة مشهورة في الموضوعات الفلسفية ذات الطبيعة الأقل تخصصا، وجذبت العديد من الطلاب المخلصين والجمهور الكبير. كان يُنظر إليها على أنها "وثنية" في وقت الصراع الديني المرير بين المسيحيين (الأرثوذكس و "الهرطقيين" على حد سواء)، واليهود، والوثنيين.
كانت مفكرة بارزة في المدرسة الأفلاطونية الحديثة في الإسكندرية حيث درست الفلسفة

تصور مسرحية درس هيباتيا الأخير ، بشكل درامي، الظروف المحيطة بعملية القتل الوحشية لهيباتيا (370–415م)، الفيلسوفة الوثنية،

وعلم الفلك. اشتهرت هيباتيا في حياتها كمعلمة عظيمة ومستشارة حكيمة. قامت هيباتيا ببناء الإسطرلاب ومقاييس الهيدرومتر، لكنها لم تخترع أيا منهما، وكلاهما كان قيد الاستخدام قبل ولادتها بفترة طويلة .

على الرغم من أنها كانت وثنية، إلا أنها كانت متسامحة تجاه المسيحيين، وعلمت العديد طلابهم، بما في ذلك سينيسيوس، أسقف المستقبل لبطليموس. تسجل المصادر القديمة أن هيباتيا كانت محبوبة على نطاق واسع من قبل الوثنيين والمسيحيين على حد سواء وأنها كانت ذات تأثير كبير على النخبة السياسية في الإسكندرية. قرب نهاية حياتها، نصحت هيباتيا أوريستيس، محافظ الإسكندرية الروماني، الذي كان في خضم نزاع سياسي مع كيرلس، أسقف الإسكندرية.

وانتشرت شائعات متهمة إياها بمنع أوريستيس من المصالحة مع كيرلس، وفي مارس 415م، قُتلت على يد حشد من المسيحيين المتعصبين بقيادة معلِّم يُدعى بطرس. حيث سحبوها من عربتها في أحد شوارع الإسكندرية، وجروها إلى الكنيسة، وجردوها من ملابسها، وضربوها حتى الموت، وسلخوها، ومزقوا أطرافها، وأحرقوا بقاياها.

صدم مقتل هيباتيا الإمبراطورية وحولها إلى "شهيدة للفلسفة"، مما أدى إلى أن يصبح الأفلاطونيون الجدد متحمسين بشكل متزايد في معارضتهم للمسيحية. خلال العصور الوسطى، تم اختيار هيباتيا كرمز للفضيلة المسيحية ويعتقد العلماء أنها كانت جزءا من أساس أسطورة سانت كاترين في الإسكندرية. خلال عصر التنوير، أصبحت رمزا لمعارضة الكاثوليكية. في القرن التاسع عشر، جعلها الأدب الأوروبي، رومانسية على أنها "آخر الهيلينيين". في القرن العشرين، أصبح يُنظر إلى هيباتيا على أنها رمز لحقوق المرأة ومقدمة للحركة النسوية. ومنذ أواخر القرن العشرين، ربطت بعض الصور بوفاة هيباتيا بتدمير مكتبة الإسكندرية، على الرغم من الحقيقة التاريخية بأن المكتبة لم تعد موجودة في حياة هيباتيا. [المترجم]

وعالمة الفلك، وعالمة الرياضيات، والمعلمة، والمرأة الوحيدة التي تولت إدارة أكاديمية الإسكندرية في العصور الوسطى. يشير المؤرخون عادة إلى تاريخ وفاتها على يد المتعصبين الدينيين، في عام 415، باعتباره البداية الرمزية للعصور الوسطى (إلى جانب إغلاق أكاديمية أفلاطون في أثينا، في نفس الوقت تقريبا). على الرغم من أن عملي هو أداء درامي حر لحياة هيباتيا، إلا أنني حاولت، أيضا، أن أكون وفيا قدر الإمكان للحقائق التاريخية، باستشارة مصادر[1] السيرة الذاتية الشحيحة الموجودة حول هذه المرأة الرائعة، بالإضافة إلى السير الذاتية للشخصيات التاريخية الأخرى، في ذلك الوقت، ممن يظهرون في

---

(1) مقال لنانسي نيتوبسكي، "هيباتيا الإسكندرية: عالم رياضيات وفلك وفيلسوفة" ظهر في المجلد الثاني من "الإسكندرية - مجلة التراث الكوني الغربي" (تحرير ديفيد فيدلر، جراند رابيدز، ميشيجان: Phanes Press، 1993 ، ص 45-56)، كان مفيدا جدا بالنسبة لي، حيث أن نيتوبسكي تعلق على المصادر العديدة التي لدينا عن هيباتيا (بدءا من المصادر الثمانية الأولية المكتوبة)، تليها الترجمة الإنجليزية لثلاثة من أهم هذه المصادر، مترجمة بواسطة جيرميا ريدي: "حياة هيباتيا" ، من موسوعة The Sudda البيزنطية، و"حياة هيباتيا" لسقراط سكولاستيكوس، و"حياة هيباتيا" بقلم جون أسقف نيكيو (ص 57-64). (المؤلف)

مسرحيتي، أو ذُكروا فيها، مثل: سينسيوس من قورينا[1]، أسقف وتلميذ سابق لهيباتيا (التي بقيت رسائله إليها)، والحاكم أوريستيس، والبطاركة: ثيوفيلوس، وكيرلس الأول السكندري، وإيريا بولخريا، إمبراطورة بيزنطة، وبالاداس السكندري، النحوي. لم يحُل هذا بيني وبين اختراع العديد من الشخصيات، مما سمح لي بالتصوير الدرامي للمعلومات التاريخية التي اعتبرتها جوهرية لمسرحية من هذا النوع. مثال على ذلك: ديميتريا، زوجة أورستيس الممثلة. حيث ساعدت مواجهتها لهيباتيا في إعادة الحياة إلى الخلاف الشهير القائم بين أوريستس وهيباتيا، حينما كان تلميذها المصاب بعشقها. كما أنه يساعد في إضفاء الطابع الدرامي على التقارير التي تشير إلى الصلة بين مقتل هيباتيا وافتتاح مسرح في الإسكندرية، بأمر من أوريستس بصفته محافظا. وجعل أوريستس كاتبا مسرحيا، يكتب تحت الاسم المستعار أريستيوس من طيبة، هو أحد النزوات العديدة التي استسلمت لها، في

---

[1] **قورينا:** مدينة تاريخية أسسها الإغريق في الجبل الأخضر، في أقصى شمال شرق ليبيا. [المترجم]

تكريم، من نوع ما، لمفهوم أرسطو، بأن عالم الحقائق التاريخية هو ما حدث (الجزئي)، وأن عالم الشعر الدرامي هو ما قد يحدث (الكلي)[1]. بالطبع، فهذا يفيد، في هذه الحالة، التي لا نعرف فيها سوى القليل عما حدث على أي حال. كذلك، فإن طلاب هيباتيا الصغار في الأكاديمية هم شخصيات درامية متخيلة، من بينهم إبونيوس، العبد المحرّر، ونزاريوس اليهودي، وكاريوتيس، الجاسوس الذي سلَّم هيباتيا إلى أتباع كيرلس الأول، وستيلا، التي وصلت حديثا إلى الأكاديمية، وابنة سينسيوس (وهو ما يتعارض مع السجل التاريخي الذي يخبرنا أن ابني أسقف بينتابوليس ماتا في طفولتهما). وعلى الرغم من أن مطالبة سينيسيوس بأن تقبل الكنيسة زواجه قبل أن يصبح أسقفا موثقة جيدا،

---

[1] يقول د. سعيد توفيق: "الفلسفة عنده [أرسطو] هي الأصل والمرجع والمعيار حينما يميز الشعر بقوله: "إن الشعر أكثر من التاريخ حظا من الفلسفة"؛ لأن التاريخ يعبر عن الجزئي، في حين أن الشعر يعبر عن الكلي. ولقد أفاض الفلاسفة في تفسير هذا القول الذي لا يزال صالحا حتى يومنا هذا؛ لأن الشعر الحق يشارك الفلسفة في أنه يقدم لنا رؤية كلية للوجود، ولكنها مكثفة في اللغة الشعرية؛ إذ إن الشاعر لا يعبر عن هذه الرؤية بلغة التصورات الفلسفية المجردة، وإنما يعبر عنها في طابعها الحسي الملموس الذي يتجسد فيه المعنى والدلالة بلغة لا يمكن استبدالها، أي من خلال الكلمات بصوتياتها وإيحاءاتها التي تومئ إلى المعنى. (مقال: الفلسفة والشعر). [المترجم]

إلا أن ملفي الشخصي عن زوجته، لافينيا، هو نتاج مخيلتي، ويعالج الافتقار إلى بيانات سيرتها الذاتية.

نُشر ت مسرحية "الدرس الأخير لهيباتيا" لأول مرة، في البرتغال عام 2004 كاملة في ثلاثة فصول. في هذا الإصدار، تشكل الساعات الأخيرة من حياة الفيلسوفة الفصل الثاني من المسرحية، التي تنخرط في نوع من الحوار المسرحي مع قصة معاصرة عن العنف المدرسي. من هذا النص الكامل، جاءت هذه المسرحية المكونة من فصل واحد عن هيباتيا، لتحقق فكرة خطرت لي منذ بضع سنوات، والتي أصبحت الآن حقيقية، بفضل تشجيع سوزان رولاند، المسؤولة عن القراءة المرحلية الأولى لهذا العمل المسرحي (القائم على الترجمة الإنجليزية لأليكس لاد)، في إيثاكا (نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية) في جامعة كورنيل (مركز روبرت بورسيل المجتمعي، قاعة المحاضرات، 11 /08/ 2010)[1]. هذه إذن مسرحية جديدة، وإن ليست جديدة

(1) تم تقديم قراءة العرض المسرحية الأولية "*للدرس الأخير لهيباتيا*"، تحت إشراف سوزان رولاند، في جامعة كورنيل كجزء من برنامج "على الحافة: النفس في الأخلاق والفنون والطبيعة": مؤتمر للبحوث حول علم نفس يونج وعلم النفس التحليلي (العاشر إلى الرابع

تماما، لأنني أضفت أيضا مقدمة وخاتمة لمساعدة هذا البديل الأقل طولا على الوقوف بمفرده، بمنأى عن سابقته الأطول.

أُتيحت لي الفرصة، بين الإصدار الأول من مسرحيتي في عام 2002 والوقت الحاضر، لقراءة كتاب ماريا دزيلسكا "*هيباتيا السكندرية*" (في الطبعة البرتغالية، 2009)، والتي تقول، من بين أمور أخرى، أنها قراءة خاطئة للسجل التاريخي الإصرار على أن هيباتيا كانت تبلغ من العمر 45 عاما حين وفاتها. تذهب الباحثة البولندية - لأول مرة – إلى أن هيباتيا كانت ستكبر وستحتفل بالفعل بعيد ميلادها الستين في عام 415م، وهو العام الذي قُتلت فيه هيباتيا. على الرغم من أن أطروحة دزيلسكا التي تعدل عام ميلاد هيباتيا (التي تعود إلى عام 355 بعد الميلاد) تبدو معقولة، فقد قررت التمسك بالسرد الأصلي حول هيباتيا. لذا فإن قصتي تتبع التفسير التقليدي للبيانات التاريخية، الذي يذكر أن موتها كان في زهرة الأربعينيات من عمرها، وهو أيضا

عشر من أغسطس 2010)، الذي عقد بالاشتراك مع جمعية يونج للدراسات العلمية والرابطة الدولية لدراسات يونج. (المؤلف)

اختيار صانع الأفلام الإسباني أليخاندرو أمينابار في فيلمه *Agora* (2009)، وهو أول غزو لهيباتيا في السينما، حيث لعبت دورها الممثلة البريطانية المولد راشيل وايز.

كانت نقطة البداية لكتابة هذه المسرحية هي القصيدة التي تنتهي بها، والتي كُتبت في تاريخ سابق على كتابة بقية النص. في هذه القصيدة، نفهم أن عالم الرياضيات ثيون – والد هيباتيا – كان لا يزال على قيد الحياة، عندما تم انتزاع حياة ابنته منها بوحشية، وهو الأمر الذي قد يكون غير دقيق تاريخيا ويتعارض مع المسرحية نفسها. في الواقع، فإن ديميتريا، في مشهدها مع أوريستس، تشير إلى ثيون بصيغة الماضي، مما يؤدي بنا إلى إدراك أنه كان ميتا بالفعل في ذلك الوقت. تشير لوسيندا صراحة إلى وجود نسخ مختلفة عن وقت وفاة هيباتيا في المسرحية وفي القصيدة. إن لوسيندا ـ الأشبه *بالأنيما*[1] ـ هي قناع مراهق صنعته لنفسي

[1] **الأنيما Anima**: لفظ يوناني قديم يعني: القطب الأنثوي في الرجل. وقد استخدمه يونج في مذهبه للاشعور الجمعي، حيث يذهب إلى أن في كل رجل أنثى هي الأنيما، التي تشكل الطاقة الإبداعية الكامنة فيه، وفي كل امرأة رجل هو الأنيموس، الذي يشكل الجانب الانبساطي والمجتمعي فيها. فهما أشبه بطاقتان في الرجل والمرأة تعملان على التقارب بين

كمؤلف، مما منحني الحرية الإبداعية، والمسافة التي احتاجها لتجنب كتابة مسرحية مستوحاة من الأحداث التاريخية فقط. سمح لي قرار لوسيندا في نهاية المسرحية بالحفاظ على هذه النسخ المتباينة عن مصير هيباتيا، مما يؤكد بشكل رمزي مدى ضآلة ما نعرفه يقينا عن هذه المرأة الفيلسوفة. كان عدم اليقين هذا هو أطلق لديَّ الرغبة في اللجوء إلى الخيال الدرامي لإعادة تخليق هيباتيا كشخصية مسرحية، شخصية تسعى للتواصل معنا، عن طريق العاطفة والأفكار، وعن طريق المرح المسرحي، والحدس، صانعة للرموز.

إيثاكا، 11 أغسطس 2010

أرماندو ناسيمينتو روزا

المتآلفين فيهما. ويقصد المؤلف هنا أن شخصية لوسيندا تمثل الجانب الأنثوي فيه هو شخصيا. [المترجم]

"أي روح تغنت على شفاه رائعة الجمال

و احترق صفاؤها في عيون ملهمة؟

نَفَس أفلاطون وجسد أفروديت

رحلا إلى الأبد إلى سماء هيلاس الجميلة" !

الشاعر الفرنسي لوكونت دي ليسلي، هيباتيا (1847)

الشخصيات:

لوسيندا	:	طالبة شابة، مؤلفة.
هيباتيا السكندرية	:	فيلسوفة من الإسكندرية.
سينسيوس القوريناني	:	أسقف بنتابوليس، تلميذ سابق لهيباتيا.
ستيللا	:	ابنة سينسيوس ولافينيا (تلعب لوسيندا دورها).
لافينيا	:	زوجة سينسيوس.
أوريستس	:	حاكم الإسكندرية.
ديمتريا	:	ممثلة، زوجة أوريستس.
نازاريوس	:	تلميذ هيباتيا، يهودي.
كاريوتيس	:	تلميذ هيباتيا، جاسوس يعمل لصالح كيرلس.
إبونيوس	:	تلميذ هيباتيا، نوبي.
كيرلس	:	بطريرك الإسكندرية.
مرتدو الأقنعة	:	أتباع كيرلس.
هيلين الصورية	:	شخصية تلعب ديمتريا دورها.
سمعان الساحر	:	أحد شخصيات مسرحية ديمتريا.
بلوكيريا	:	إمبراطورة الإمبراطورية الشرقية.
حارسان	:	وآخرون مختلطون بالجمهور.

مقدمة

لوسيندا : **(محاطة بكتب، وكراسات، وجهاز لابتوب)** لقد تأثرتُ بسماع قصتها. وبحثتُ عنها في الإنترنت، ورغبتُ في تأليف رواية مسرحية بالاستعانة بشخصيات تاريخية. طلبتُ بعض الكتب بواسطة البريد، وغرقتُ في النوم يوما وأنا أقرأ أحد تلك الكتب، عندما زارني شبح هيباتيا.

(تدخل هيباتيا وهي تتمتم بسرعة ببعض الكلمات، غير المفهومة)

لا أدري إن كنت نائمة أم يقظة، لكنك ما زلتِ تتحدثين إليَّ. أنتِ صوت يختبئ في عينيَّ. عندما اكتشفت وجودك شعرت بطيفك. وأتيتي إليَّ

وسألتني ماذا أريد.

هيباتيا : لوسيندا، أريدك أن تكتبي قصتي. القصص تُطيل حياة الشفاه التي تنطق بها. وقصتي تحتاج إليكِ، حتى لا تنزلق إلى مهوى النسيان. أي فائدة تكون إذا ذكرَتني الكتب ولكنها تبقى مغلقة على الأرفف، أو يتم تسجيلها على أسطوانات لا يديرها أحد؟ أما المسرح، فهو كتاب مفتوح لأولئك الذين يرغبون في قراءتها. اسمي هيباتيا، معلمة في الإسكندرية، وأموت في كل مرة تُعرض فيها هذه المسرحية. لكنني سأُولَد من جديد في كلماتِك. **(تفتح لوسيندا جهاز اللابتوب، وتضغط على المفاتيح بحماس)** أكتبي، أكتبي لوسيندا. من اللية فصاعدا سأسكن في جهاز الكمبيوتر خاصتك.

سأعرفكِ على شخصيات مسرحيتي. ها هم الممثلون يصلون.

(يُسلط الضوء على جميع شخصيات المسرحية) المسرح فضاء تتشارك فيه الضحكات والأحزان. **(يخرج الجميع عدا سينسيوس، وستيللا، ولافينيا. ترتدي لوسيندا ملابس ستيللا).**

مشهد 1

سينسيوس القورينائي، رجل في الأربعينيات من عمره، يظهر مخاطبا الجمهور.

يرتدي سترة خفيفة، تخبرنا أنه كاهن.

سينسيوس : اسمي سينسيوس، سينسيوس القورينائي ـ من المعتاد بيننا إضافة مكان الميلاد إلى اسم الشخص. وُلدت في نفس العام الذي وُلدت فيه هيباتيا، عام 470 ميلادي. رغم أننا في نفس العمر، إلا أنها معلمتي في مسائل الروح. في عمر الحادي والعشرين، غادرت قورينيا إلى الإسكندرية؛ لأدرس على هذه المرأة، التي ذاعت شهرتها في أنحاء البحر المتوسط. عالمة فلك، وفيلسوفة، وعالمة بالأجرام السماوية، وبنجوم الروح.

هيباتيا كانت أول امرأة تقوم بالتدريس ـ وإدارة ـ أكاديمية الإسكندرية، تلك المؤسسة الشهيرة، التي بُنيت على غرار أكاديمية أفلاطون في أثينا. وما أنا عليه اليوم، وما أعلمه، إنما أدين لها به. دروسها الحكيمة أشعلت الشرارات الإلهية الخامدة في جماجم البشر. التلاميذ من كل الأطياف العقائدية مرحبٌ بهم في مدرسة هيباتيا، شريطة أن يملكوا رغبة طبيعية في التعلم. فقط في الإسكندرية، المدينة التي أنشأها البطل المقدوني من أجل توحيد الناس والمعتقدات في تعايش سلمي، يمكن لمثل هذه المدرسة أن تكون. في ذاك الوقت كنت مغويا بكلمة المسيح. هيباتيا معجبة بالمسيح، لكنها من أتباع ديانة فيثاجورس[1]. بالنسبة لها، فإن يسوع واحد من الأرواح المستنيرة التي هبطت

[1] **ديانة فيثاغورس**: من مبادئ العقيدة الفيثاغورية: الامتناع عن الملذات الجسدية. واعتماد الموسيقى والشعر كوسائل شعائرية لترقية النفس. [**المترجم**]

على الأرض، بعد أورفيوس[1]، وأفلاطون، وإقليدس[2]، وأفلوطين[3]. لم تشأ أن تضع أحدهم في مرتبة أعلى من الآخرين، فقط مقبرة لهؤلاء الصفوة من العظماء، حيث لكل واحد منهم مذبحه، قد يرضيها. لهذا السبب اتهمها أصحاب الطوائف المذهبية بأنها لم تنبذ عقيدتها الوثنية. إنهم لا يفهون أنه، إضافة إلى التسامح، فإن هيباتيا تمثل حب التنوع. لم يكن هناك صوت نسائي مثل صوتها في مجال الفلسفة، منذ موت معلمة سقراط ـ ديوتيما. تقول هيباتيا، نصف مازحة، إنها ربما تكون تناسخا لديوتيما. ومن يمكن له القول إنها ليست كذلك؟ (**نوبة سعال**)

---

[1] **أورفيوس**: أحد شخصيات الأسطورة اليونانية، وهو شاعر وموسيقي. [**المترجم**]

[2] **إقليدس** (323 ق.م.–283 ق. م.): عالم رياضيات يوناني، يلقب بأبي الهندسة. خاض مشواره العلمي في الإسكندرية في أيام حكم بطليموس الأول. [**المترجم**]

[3] **أفلوطين (205م - 270 م)**: فيلسوف يوناني، يعد أهم شخصيات الأفلاطونية المحدثة. ولد في مصر، وعاش فترة شبابه في الإسكندرية. [**المترجم**]

لقد علمتني كيف يمكن لأرواحنا أن تتحرر. في الوقت الذي غادرتُ فيه الإسكندرية، كان عليَّ أن أشرع في سلوك طريقي الخاص. فأنا أيضا رجل أفعال، كما ترون. حاربت، وانتصرت على الوندال[1] في ليبيا. ثم قبلت منصبا في السلطة، في بنتابوليس، المقاطعة التي وُلدت فيها، وإن بدون تردد. وأُرسلت إلى القسطنطينية، وهناك خفضت الضرائب التي كانت تثقل كاهل مدينتي، وازداد قدْر ي لدى أهل المدينة. ووقعت في حب لافينيا، شابة مصرية، وتزوجتها. أنجبنا ثلاثة أطفال، صبيَّين وفتاة. لكن للأسف، مات الصبيَّان وهما بعد صغيرين. وبقيت ابنتنا. هي الآن امرأة. منحناها اسم ستيللا. (تظهر

---

[1] **الوندال**: لوَندال (أو الفَندال)، إحدى القبائل الجرمانية الشرقية، الذين اقتطعوا أجزاء من الإمبراطورية الرومانية، في القرن الخامس الميلادي، وأسسوا لهم دولة في شمال إفريقيا، مركزها مدينة قرطاج، وضموا إليها جزيرة صقلية والعديد من جزر البحر المتوسط. يعتقد أن اسم الأندلس مشتق من اسم هذه القبيلة. [**المترجم**]

ستيللا وتتحدث إلى والدها).

ستيللا : أبي، سيرهقك كثرة الحديث، كما أنك تسبب الملل لهؤلاء المساكين بذكرياتك. ناهيك عن تأثير ذلك على التهاب الشُّعَب لديك.

سينسيوس : دعيني أواصل، يا طفلتي. يمكنني أن أرى في عيونهم أن بعضهم، على الأقل، يتابع باهتمام ما أقول. **(يواصل مونولوجه[1])** ذات يوم، بينما كان البطريرك ثيوفيلوس[2] في زيارة لقورينيا، أُخِذ بمهاراتي

---

[1] **مونولوج**: مصدر الكلمة يوناني "مونو" يعني: أحادي، و"لوجوس" تعني: خطاب. وهو: خطبة تلقيها الشخصيّة المسرحيّة وحدها على انفراد أو على مشهد من الحضور، تكشف فيها عن خبايا النفس وما تنوي فعله، أو تشرح فيها أمرا من الأمور. أو هو: حديث النفس، أو النّجوى. [المترجم]

[2] **ثيوفيلوس**: بطريرك الإسكندرية (الكنيسة القبطية) رقم 23. تولى الكرازة المرقسية من 385 حتى 412. حطم وحوّل معابد إلى كنائس، ومنهم متحف مكتبة الإسكندرية والسرابيوم (معبد لعبادة سرابيس وفي الوقت نفسه المكتبة الأخت الصغرى لمكتبة الإسكندرية). شجع عصابات المسيحيين على تدمير المعابد الوثنية (ومعها المكتبات الفلسفية الغنوصية) وعلى قتل الوثنيين رغم إرسال الإمبراطور ثيودوسيوس الأول رسالة إليه تسمح له بتحويل المعابد إلى كنائس ولكن تنهاه بشدة عن قتل الوثنيين. [المترجم]

الخطابية، وقرر أن يجعلني أسقفا لبنتابوليس[1]. أقلقني رؤية نفسي مرتديا رداء الخدمة الكنسية. استغرقني الأمر شهورا لأجل أن أقرر إن كنت أقبل أم لا. انتهى بي الأمر بالموافقة، لكنني اشترطت شروطا: ألا أتخلى عن اعتقادي بالوجود السابق للروح الإنسانية، وخلود الكون. وألا يحاولوا إقناعي باعتقاد قيامة الجسد يوم القيامة؛ فالجسد مجرد رداء نخلعه حين لا يعود النسيج البالي قادرا على الإمساك بالروح داخله. **(نوبة سعال أخرى)** كان على الكنيسة أن تقبل بي على ما أنا عليه إذا أرادتني في سلكها الكهنوتي. **(تظهر لافينيا، وقد أحضرت له قلنسوته، التي يضعها على رأسه. يسيران معا،**

---

[1] **بنتابوليس**: المدن الخمسة: من الكلمة اليونانية: (بنتا) وتعني خمسة و(بوليس) وتعني مدينة، أو المدينة الدولة. وهي مدن أسسها الإغريق بداية من القرن السابع قبل الميلاد في إقليم قورينائية بشرق ليبيا، لتكون مركزا للحضارة الإغريقية في أفريقيا. والمدن هي: قورينا، (شحات الحالية) وأبولونيا، وتوجد في موقعها مدينة سوسة الحالية. ويوسبريديس، وهي بنغازي الحالية. وتوخيرا، وتوجد في موقعها مدينة توكرة حاليا. وبرقه، وهي المرج القديمة حاليا. [المترجم]

يد بيد، عبر المسرح) وفوق كل ذلك، فإني لن أتخلى عن زواجي بلافينيا. إن حبي لزوجتي لا يقلل أبدا من قدراتي كراعي للأرواح. عندها فقط عمَّدني ثيوفيلوس في الكاتدرائية، ورسَّمني أسقفا فيما زوجتي وابنتي تنظران إليَّ بفخر.

لافينيا : كان احتفالا لا يُنسى. وأرسَلت هيباتيا العظيمة رسالة مؤثرة إلى سينسيوس، تهنئه على شجاعته، شجاعتنا، في مواجهة تعصُّب المتخلفين عاطفيا. **(يسعل سينسيوس، ويجلس على حافة السرير، الذي سيكون سرير موته)** غير أن أعداءنا تآمروا علينا بشدة، حتى أنني فقدت اثنين من أولادي كانا لا يزالا صغارا، والآن فإن سينسيوس هو من يحتضر، يوما بعد يوم. أسقفي المحارب يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاما، وأنا في الثامنة والثلاثين، وسأصبح أرملة قريبا. إن الربو يفتك برئتيه، وسوف يسرقه مني. وابنتي، التي هي

كل ما بقي لي، تريد أن تتركني وترحل، لأبقى وحيدة في هذا المنزل القديم الموحش.

ستيللا : ها أنت مرة أخرى، أمي، ونواحك. ليس الأمر كما لو أنني ذاهبة إلى فينيسترَّا[1]. الإسكندرية ليست بهذا البعد.

سينسيوس : دعي الصبية تذهب. لقد بلغت من العمر ما يجب عليها فيه أن تبدأ بالاهتمام بحالتها الروحية. سأموت سعيدا إذا علمت أنها ستدرس في أكاديمية هيباتيا، مثلما فعلتُ.

لافينيا : لكنك رجل، يمكنك الدفاع عن نفسك. أما هي فصبية دون أب، في ثاني أكبر مدن بيزنطة.

سينسيوس : ستحصل ستيللا على خطاب توصية أكتبه بيدي.

---

[1] فينيستَرَّا Finisterra.: اسم لاتيني يعني "نهاية الأرض" ولعل هذا هو المعنى المقصود هنا. وجاء هذا الاسم من حقيقة أن المنطقة التي تُسمى به تقع في شبه جزيرة نائية، تعد واحدة من أقصى النقاط الغربية للأرض في إسبانيا. [المترجم]

ستعتني هيباتيا بها كما لو كانت ابنتها.

لافينيا : لكن طريق الرحلة، يا إلهي، الرحلة! الطرق خطرة للغاية، وثمَّ لصوص يتربصون عند كل مفترق طرق. منذ قاموا بتقسيم الإمبراطورية إلى قسمين، لم يعد هناك أمان بالمرة. **(يسعل سينسيوس مجددا)** أليس كافيا أنني سأفقد زوجا بسبب هذا المرض اللعين، والآن سأفقد ابنتي الوحيدة. أوه! إن آلهة الأسلاف، الذين تخليت عنهم لأجل أن أتزوجك، ينتقمون مني. **(تغطي وجهها وهي تبكي)**.

سينسيوس : كفّي عن هذه الانفعالات الدرامية، لافينيا، تلك ليست مأساة يونانية تُعرض في مصر. البرابرة على أبواب روما، لكن القسطنطينية ستصمد لقرون قادمة.

ستيللا : آه يا أماه، أرجوك كفي عن هذا، وإلا سينتهي بي الأمر وأنا لا أعرف ما سأفعله. سأسافر مع قافلة من

الحجاج العائدين من الأرض المقدسة. سيمرون بالإسكندرية. سأكون في أمان. **(يرقد سينسيوس بلا حراك، وتغطيه لافينيا بغطاء أسود، وتعاني حدادها في صمت. تتوجه ستيللا بحديثها إلى الجمهور)**

لكنني لم أذهبْ حينذاك. انتظرت عامين آخرين. مات أبي الصالح، واحتاجت أمي إلى وجودي بجانبها، واحتجت أنا إلى وجودها بجانبي. الآن فقط، علمت كم قدر حاجتي إليها، لأنها، هي أيضا، تركتني. كما لو أن أبي وأخوايَ قد لوَّحا لها في أحلامها لتنضم إليهم. ماتت لافينيا بسبب تسمم غذائي بعدما أكلت حساء الفِطر. كانت قد أعدت طعاما آخر لي ذلك اليوم.

لافينيا : **(تنظر إلى الجمهور أثناء تناولها الطعام في صحن من الفخار)** أرادت ستيللا أن تذهب إلى الإسكندرية للدراسة، لكنها لم تفعل، لأجل أمها. كانت تخشى أن تتركني مع أحزاني. ذلك الفِطر المجفف، الذي اشتريته من بائع

فينيقي، سيحررها من الموانع التي تحدها بسببي. إلى جانب ذلك، فمنذ موت سينسيوس، لم تعد لي حياة. سأذهب إليه. أوقن أنه وولداي في حاجة إليَّ. لقد قتلَت لدغة الأفعى كليوباترا، أما أنا فمن عامة الناس، ويكفيني الفِطر المسموم. **(تتلوى لافينيا في سكرة موتها مستسلمة. تتمتم ستيللا بالصلاة إلى جوارها في صمت. ثم تستطرد مونولوجها)**

ستيللا : ودعتُ أمي المتوفاة الوداع الأخير، ورحلت إلى الإسكندرية مع جماعة من التجار. ارتديت ملابس الرجال حتى لا يلاحظني أحد. حينما وصلت إلى المدينة، كانت هيباتيا تنتظرني في الميدان. كان جندي قريب لي قد سلمها خطابي من قبل، وأخبرها بموعد وصولي. **(تدخل هيباتيا)**.

مشهد 2

هيباتيا : مرحبا عزيزتي ستيللا. أرى حماسة سينسيوس في عينيكِ. كان صديقا عظيما، أخذه قدره مبكرا. كان أبيك روحا عظيمة.

ستيللا : أعلم، وأنا فخورة بذلك. لكن معكِ تعلَّمَ التفكير. آمل أن تُنيري لي سبيلي بتعاليمك أنا أيضا. لا أحد يُعلِّم سادة اليونان ـ الذين منحوا الكثير من المجد للفلسفة ـ مثل هيباتيا.

هيباتيا : والذين جلبوا لنا الكثير من المجد، أنت محقة. لكنهم لم يعودوا يفعلون ذلك. أنا لا أريد أن أُضلَّكِ ستيللا. الفلسفة الآن امرأة جميلة، يظن الجميع أنهم يعرفونها، ولكنها في داخلها ميتة. تمضي حاملةً الاسم

نفسه، ولكنها، الآن، تضع الكثير من مساحيق التجميل حتى تداري شيخوختها. الآن، هي مجرد مومياء. تلعب دور الميتة حتى لا يتم قتلها. لقد أتيتي إليَّ لتتعلمي فن استحضار الموتى. احذري من أن يتهموكِ بممارسة السحر بسببي. نحن نعيش في زمن غريب من الجهل والتعصب. كل ما تبقَّى من اليونان، الآن، مجرد حب غامض للأساطير، ومن روما، الرائحة الطازجة لدم المصارعين. أعلن المسيح عن إله مختلف، لكن سرعان ما سيُفسد ورثته أقواله بعقائد سخيفة. أتعلمين، ستيللا، كثيرا ما أفكر إن كانت لمهمتي جدوى. قليل من البشر من يستطيعون الترقي نحو الكمال في هذا العالم المظلم.

ستيللا : أرجوكِ، لا تقولي ذلك. إن هيباتيا نجمة حية، تشرق بالضوء على الشباب. مات أبي، ثم ماتت أمي، لكنني لم أفقد حبي للحياة. حبي للتعلم هو ملاذي الأخير.

أؤمن بالمستقبل، وإلا لما أتيت إليكِ. كان يراودني الحلم ليل نهار بأن أنضم، في نهاية الأمر، إلى مدرستك. (**مبتهجة**) أنا في الإسكندرية، معكِ... ما زال الأمر يبدو لي غير حقيقي.

هيباتيا : إن حماسكِ مُعدي. ربما كنت أبالغ. مع تقدمنا في العمر يتملكنا وهم أن العالم سيموت معنا. (**تنظر إلى السماء بنظرة ساخرة**)

انظري، هذا كله خطأ زُحَل؛ إذ تقاطع مساره مع مسار المريخ، وهو ما يسبب لي الضيق دائما. (**تضحكان**). هيا، سأريك أين أعيش. ستكونين ضيفتي، الابنة، أو الأخت، التي لم تكن لي قط.

مشهد 3

ديمتريا، تجلس أمام مرآة، على وشك الانتهاء من تجميل وجهها.

ديمتريا : (**تمشط شعرها**) أوريستس، أحضِر لي الإكليل من الخزانة العاجية! (**بصوت أعلى**) أوريستس، هل تسمعني؟ احذر، أنا ممثلة ـ حينما أصرخ، يمكن لصرختي أن تحطم الزجاج. (**يدخل أوريستس مرتبكا والتاج في يده**)

أوريستس : أين ذهب كل الخدم في هذا القصر؟ لماذا عليَّ أن أقوم بعمل الخصيان والخادمات! (**يناولها التاج**)

ديمتريا : شكرا عزيزي، أنتِ حبيبي، (**تربت على فخذه**) لكن ليس فيكِ شيء من الخصيان. لقد أرسلت الخادمات

لشراء بودرة تجميل للوجه، والخدم مشغولون بالتجهيز للعيد. أريدك هنا بجانبي. أنا لا أشعر بالأمان أوريستس. لا أعلم كيف ستكون ردة فعل الجمهور تجاه عرضي.

أوريستس : هيا، ديمتريا، سوف يصفقون لك بحرارة. أنت زوجتي، في نهاية الأمر. لا يمكن للضيوف في العرض الأول أن يثيروا استياء الحاكم، أليس كذلك؟

ديمتريا : أوه، كم أنتَ لطيف. أيُّ تصفيقٍ سيكون بفضل سلطتك لا موهبتي. (قلقة) يمكنك كذلك الإفصاح عما تفكر فيه: أنا فنانة فاشلة.

أوريستس : إذا كنتِ فاشلة لما تزوجتك. (**يداعبها**) على أية حال، إنه فنّك الذي شجعني على إعادة افتتاح أكبر مسرح في المدينة، الذي ظل مغلقا لعشرين عاما، منذ أصدر ثيودوسيوس أمره. تعلمين جيدا أنني سأواجه،

اليوم، أعدائي، أعداء فنِّكِ ـ حشدٌ بغيض من المتعصبين الدينيين، الذين يبصقون على كل ما هو نبيل وحَي. لقد أصبحت الكنيسة أكثر الطوائف خطورة منذ ترسيم كيرلس[1] أسقفا. إنها كنيسة المسيح بالاسم فقط. يحرقون المذابح الوثنية، ويدنسون المعابد، ويلقون بالافتراءات الخسيسة على كل من لا يخضع لمعتقدهم. إعادة افتتاح المسرح لن يكون مجرد فعل دنيوي ممل آخر للحاكم. أراه كتلميح سياسي للنظام الأول. إن ما جعل الإسكندرية مدينة فريدة هو التسامح مع الأفكار

---

[1] **كيرلس الأول** (376م - 444 م) البابا السكندري والبطريرك الرابع والعشرون والملقب "عمود الدين ومصباح الكنيسة الأرثوذكسية". كان ابن أخت ثاوفيلس (بابا الإسكندرية) (رقم 23) وتربي عند خاله في مدرسة الإسكندرية وتثقف بعلومها اللاهوتية والفلسفية اللازمة للدفاع عن الدين المسيحي والأيمان الأرثوذكسي. ولما توفى خاله البابا ثاؤفيلس في 412م، أجلسوا هذا الأب خلفه، ووجه اهتمامه لمناهضة العبادة الوثنية والدفاع عن الدين المسيحي، وقام بمناوئة أصحاب الفكر غير الارثوذكسى، حتى تمكن من قفل كنائسهم والاستيلاء علي مقتنياتها الذهبية. ويرتبط اسم كيرلس الأول باغتيال هيباتيا الفيلسوفة والرياضية الافلاطونية المحدثة. [المترجم]

والمعتقدات، إنها المكان الذي تتآلف فيه العوالم المختلفة. سيساعدنا المسرح لنعيد تعليم المدينة ما نسيته.

ديمتريا : قد يكون ما تقول صحيح. لكن، بدلا من أن تطمأنني فقد زدت من توتري. أعرف القليل عن السياسة. السياسة الوحيدة التي أعرفها هي كيف ألعب دوري بشكل جيد، وكيف أؤثر في الجمهور حتى يتصوروا أنفسهم مكان الشخصيات، يعانون ويضحكون معهم.

أوريستس : وهذا كل ما أطلبه منكِ اليوم، عزيزتي ديمتريا. كلما ازدادت روعة أدائك، زاد نجاح خطتي. أحيانا، لا يعلم الناس ما هم أكثر حاجة إليه. يوجد ثلاثة مخدرات في الحياة، يجب أن ندمنها: المسرح، والحب، والذكاء. وهذا سبب إدماني لك. (**يتعانقان**).

ديمتريا : لكن ليس هذا ما تعلمته في مدرسة هيباتيا. يبدو لي

أن الشيء الوحيد الذي أدمنته هيباتيا هو الذكاء. بالنسبة لها، فإن المسرح يكون جيدا، فقط، إذا ما وافق الفلسفة.

أوريستس : أنتِ غير منصفة. تعلمتُ الكثير من هيباتيا، وأكثر ما علمتنيه هو أهمية تفكير المرء في نفسه.

ديمتريا : **(بازدراء)** فِكر، فِكر، فِكر... تلك المرأة عبارة عن مخ وفَرج. إنها نظرية روَّجها والدها، عالم الرياضيات. إن هيباتيا تذكّرني بقصة أثينا، إلهة من دون أم، ولدت كاملة الجسد من رأس أبيها. بالنسبة لها، الجسد مجرد محطة عابرة للروح.

أوريستس : لا يمكنك أبدا إخفاء غيرتك منها.

ديمتريا : أنت أحببتها حبا شديدا، وبشكل لا يجعلك تحبني. **(تجذب أوريستس نحوها بقوة)** بالنسبة لي، فالحب لا يُحس إلا عبر الجسد. وتلك المرأة تحيرني دوما؛ لأنها تجاهر بإيمانها بالحب الخالص، الخاص بالملائكة فقط.

إذا كانت قبيحة أو معاقة، فهذا قد يكون مقبولا منها، لكن لا، هيباتيا فائقة الجمال، وقد تباهت بعذريتها من قبل أمام أتباعها الولهى. إنها ليست من هذا العالم، أوريستس. (**يتباعدان**)

أوريستس : ليس منَّا من ينتمي بأكمله إلى هذا العالم، ديمتريا، وهي تعرف ذلك أكثر من أي أحد آخر. إن هيباتيا غريبة أبدا، ولهذا يكرهونها بشدة.

ديمتريا : أنا لا أكرهها. أنا فقط منزعجة من طريقة تدبرها لأمورها.

أوريستس : لم أكن أقصدك، وإنما أقصد المتعصبين الذين يفترون عليها. بالمناسبة، إنها معجبة للغاية بالمسرح، حتى إذا لم تصدقي ذلك. أذكر ما قالته، في الدرس، عن افتتانها بسوفوكليس[1]. وأضحكتنا جميعا لمَّا أخبرتنا

---

[1] **سوفوكليس** (496 ق. م. – 405 ق. م.) واحد من أعظم كتاب التراجيديا الإغريقية، إلى جانب إسخيلوس ويوربيديس. كتب 123 مسرحية، لم يبقى منها غير 7 أشهرها "أوديب

أن أفلاطون لم يكتب المحاورات إلا لأنه كاتب مسرحي فاشل. أراهن أن هيباتيا ستحضر الليلة، في عرضك المسرحي، وستجلس في أحد الأركان دون أن يلاحظها أحد.

ملكا"، و"أنتيجوني"، و"إلكترا". [المترجم]

مشهد 4

على المسرح، هيباتيا وستيللا، المندهشة بما تراه. يتجول طالبان، نازاريوس وكاريوتيس، وهما يتبادلان الحديث، بينما يتدارس طالب آخر، إبونيوس، بردية.

هيباتيا : هذه هي الأكاديمية الشهيرة، التي حلمتِ بها كثيرا. إنها تُسمَّى المتحف؛ لأنها مكرسة لربَّات الفنون[1].

ستيللا : أمر يأخذ باللَّبَ! هل يتصل هذا المكان بالمكتبة؟

هيباتيا : نعم. نعمل في ما تبقى من المكتبة. حيث يمكننا أن نشارك الحكماء الذين عاشوا قبلنا في حوار، ورغم ما تعرضت له من دمار، إلا أنه لا يوجد في العالم مكتبة

---

[1] **ربَّات الفنون، muses**: في الأسطورة اليونانية القديمة، يقصد بها إلهات الإلهام، للفنون والعلوم، وهن تسع، وعُرفن كتابعات لأبولو، إله الفنون. [المترجم]

تضاهيها. إنها متاهة، وأنا متأكدة من أنك ستسعدين بالتيه فيها.

ستيللا : دائما ما كنت أتصورها كفُلك نوح ـ سفينة تنقذنا من فيضان الجهل، في بحر من النسيان.

هيباتيا : أنت تملكين روحا شاعرة. لكن الفُلك اليوم معرَّض للغرق. لو كان بمقدوري أن أكون نوح، وأُبقي على كل هذا حيا لقرون آتية، غير أن هناك أصوات تافهة ترغب في إغراق هذا الكنز، الذي يخصنا جميعا. لا يتوقفون عن التهديد بإحراقه. فلتحفظي كلماتي، سأموت في حريق في هذا المعبد، بينما أقرأ إحدى لفائف أرشميدس. إن العامي لا يمكنه تحمل ألا يكون ذلك. احذري ستيللا، احمي نفسك دائما منهم! إن العامة خصوم خطرون. **(يصل تلميذا هيباتيا؛ نازاريوس وكاريوتيس، وهما يتبادلان الحديث)**

انظري، ها قد أتى اثنان من تلاميذي. أرغب في أن

أعرّفك بنازاريوس وكاريوتيس. **(إليهما)** زميلتكما الجديدة، ستيللا، ابنة سينسيوس ! **(يحيي بعضهم بعضا بانحناءات خفيفة)**

نازاريوس : مرحبا بكِ في الأكاديمية. والدك كان واحدا من ألمع الأسماء التي مرت في هذه القاعات.

كاريوتيس : **(ببعض الترفُّع)** لنأمل أن تتمكني من أن ترقي إلى مثاله.

ستيللا : سأبذل كل ما أستطيع من جهد.

كاريوتيس : هل كنتِ تعيشين في نفس المدينة التي كان والدك أسقفا فيها؟

ستيللا : نعم، حتى اخترت الرحيل إلى الإسكندرية.

كاريوتي : ولم تلتحقي بأي مدرسة من قبل؟

ستيللا : لا، قط. كانت المدارس في بنتابوليس تحرِّم التحاق النساء بها. لكنني لم أفقد الكثير؛ فقد تلقيت دروسا

خاصة على يد أفضل معلم محلي، أبي.

هيباتيا : كاريوتيس، هل ستخبرني بسبب هذا الاستجواب! هل أجعلك مسؤولا عن القبول الآن؟ هل الأمر كذلك؟ أي طريقة هذه التي ترحب بها بزميلة جديدة؟ لن تخمن أبدا أنك طالب هنا.

كاريوتيس : آسف، معلمتي.

هيباتيا : ستيللا هي من يجب أن تعتذر لها، لا أنا.

ستيللا : لا بأس. أنا ابنة أسقف. لقد اعتدت على كوني مرفوضة.

نازاريوس : لا يقصد كاريوتيس أي إهانة. هو ليس بالرجل السيء، لكنه يتصرف، أحيانا، بشكل غير لائق.

هيباتيا : وأنتَ تدافع عنه دائما، وهذا لا يفيد على الإطلاق. يجب على كل واحد منا أن يكبح تحيزاته. وإلا فلن نتمكن من تحصيل المعرفة الحقيقية أبدا. **(يصل**

إبونيوس، الطالب النوبي)

إبونيوس : أي درس فاتني هنا، في قلب الفناء، معلمتي؟ وفي الصحبة امرأة شابة جميلة... آمل أنها ليست زائرة عابرة، أو أسوأ، أنها مجرد وهم بصري.

هيباتيا : إبونيوس زميل آخر لكِ، ستيللا. النوبي لم يأخذ درس أفلاطون على محمل الجد. إنه متعلق جدا بعجائب الجسد التي من خلالها ينفذ إلى جمال الروح.

إبونيوس : سأصل، معلمتي، ولكن بوتيرتي الخاصة. في محاورة المأدُبَة[1]، يقول الفيلسوف إن من أجل الوصول إلى بداهة الروح عليك أن تبدأ مع المتع الجمالية للجسد. أعترف أنني ما زلت في البداية، لكنني أتقدم. أمر آخر، إذا لم تكن هذه الشابة تملك روحا جميلة، فكيف يمكن لها الالتحاق بأكاديميتنا؟

---

[1] **محاورة المأدبة**: إحدى محاورات أفلاطون، والتي يعالج فيها موضوع الحب. [المترجم]

ستيللا : شكرا على المجاملة، زميلي.

هيباتيا : يبدو أن كاريوتيس غير مقتنع تماما.

إبونيوس : (ساخرا) أوه، لكن معايير كاريوتيس للجمال تختلف تماما عن معاييري.

كاريوتيس : نهاركم سعيد. لم آتي إلى هنا لأتجادل مع العبيد المحرَّرين، إلى اللقاء، معلمتي. (يخرج)

مشهد 5

إبونيوس : لا أعرف ما الذي جاء بهذا الرجل هنا. لقد أصبح أسوأ مما كان عليه حينما أتى منذ ستة أشهر. إنه رجعي.

نازاريوس : لقد أثرت غضبه، إبونيوس. إن ولاءه ممزق بين أكاديميتنا وكنيسة كيرلس، حيث يعمل كمساعد كاهن.

إبونيوس : لماذا يلزم دائما أن تسرع بإنقاذ حبيبك؟ ستتأذى، فلتحفظ كلماتي! كاريوتيس غادر. ليس لديك فكرة عما يقوله عندما لا تكون موجودا. فهو يرى أنه كان يجب نفي كل اليهود من المدينة منذ زمن بعيد.

نازاريوس : لم أسمعه قط يقول ذلك، حتى بعد الهجوم على

الكنيس اليهودي.

إبونيوس : إنه يستغلك.

هيباتيا : كان خطأي أنني أجزت التحاقه بالأكاديمية. ظننت أن اهتمامه أصيل بالفلسفة، وأن وجوده هنا يمكن أن يساعد في تخفيف عداء الكنيسة للمعارف التي نعلِّمُها في الأكاديمية. لكني كنت مخطئة، والآن، أحاول تجاهل أسوأ هواجسي.

ستيللا : كيف ذلك، معلمتي؟ هل يمكن أن تشاركينا إياها؟

هيباتيا : (إلى نازاريوس) أتمنى أن أثق به مثلما تفعل، نازاريوس، لكن حكمك مشوش. أظن أن كاريوتيس ليس إلا جاسوس يعمل لصالح كيرلس، وأن تعليمي لا أثر له عليه.

نازاريوس : لا أريد تصديق ذلك.

إبونيوس : من يدري ما القصص التي يختلقها كاريوتيس لمجرد

إرضاء رئيسه. الأسقف كيرلس منحرف بقدر ما هو بليغ. (إلى ستيلا) أعرف ذلك بفضل تجارب شخصية، ستيلا. حينما كنت طفلا، كنت عبدًا له، حتى اشترتني هيباتيا وحررتني، هذا هو الأمر.

ستيلا : لابد أنه أمر فظيع أن تكون عبدا. كان أبي يقول إن العبودية جُذام أخلاقي نسيَه الفلاسفة.

هيباتيا : وسوف ندفع غاليا ثمن هذا العمى... **(خائفة)** لكن رجاء، لا تخبروا أحدا عن شكوكي تلك. يكفي انخراطنا في تلك الحرب الصامتة. خاصة أنت، نازاريوس، أطلب منك، رجاء، أن تحفظ هذا السر.

نازاريوس : يمكنك الاعتماد علي، معلمتي.

إبونيوس : لا يمكن الوثوق بنازاريوس عندما يكون قريبا من كاريوتيس. العاطفة تتغلب على العقل.

نازاريوس : عليك أن تعلم؛ أنت تقع في هوى كل جميلة نيلية تهز

أساورها قربك.

هيباتيا : عليكما أنتما الاثنين أن تسيطرا على عواطفكما، إذا ما كنتما ترغبان فعلا في تكريس أنفسكما للفلسفة. على العقل أن يتعلم التحكم في الجسد، وأن يتهيأ لحين لا يعود يسكن الجسم. تُعلمنا الفلسفة الموت، لأن الموت المادي يحرر النور الأبدي الذي يسكننا.

ستيللا : هكذا قال أفلاطون في محاورة فايدروس.

إبونيوس : لكنها مهمة ليست بالسهلة.

هيباتيا : النمو مؤلم دائما. ما هو سهل لا يرقى بنا كثيرا. والآن، علي الانصراف. لقد طلب مني الحاكم تحضير خريطة بُرجه للشهر القادم. يبدو قلقا. جميعنا قلقون.

نازاريوس : ألن تحضري حفل إعادة افتتاح المسرح اليوم؟

هيباتيا : تعلم رأيي في المسرح؛ يمكن أن يكون قوة محفزة نبيلة للروح، أو يمكن أن ينحدر إلى عبث خالص. لا

أعرف أي مسرحية اختارت ديميتريا. يجب أن يكون دورا كبيرا يمنحها الكثير من الفرص للتألق. **(ضحك)**

إبونيوس : المسرحية عنوانها: شغف هيلين الصورية[1]. مؤلفها يُدعى أريستوس الطيبي[2]، لكنه قد يكون اسما مستعارا. أنا أعرف من هي هيلين طروادة[3]، لكن

---

[1] **هيلين الصورية**: نسبة إلى مدينة صور. وردت قصتها في "أعمال الرسل"، مع سيمون أو سمعان المجوسي، وهو أوّل مبتدع في تاريخ الكنيسة، مزج الغنوصية بالمسيحية ". كان سمعان يتجول مع امرأة داعرة اسمها "هيلين أو هيلانة" قائلاً عنها إنها "الفكرة؛ أو بنت من بنات أفكاره، وإنها هي أم كل الأشياء، وبها خلق الملائكة والعالم. وقد حبسها الملائكة في جسد بشري، ومنعوها من الرجوع إلى أبيها. وهكذا احترفت البغاء، وصارت الخروف الضال، فجاء "سمعان" ليخلصها. لذا يجب على الناس أن يضعوا رجاءهم فيه وفي هيلين حتى يخلصوا ويصيروا أحراراً بنعمته. وسيأتي ذكر ذلك في متن المسرحية في المشهدين 7، و11. [المترجم]

[2] **الطيبي: نسبة إلى مدينة طيبة المصرية.** [المترجم]

[3] **هيلين طروادة: في إلياذة هوميروس، هي أجمل نساء الأرض قاطبة، خطب ودها جميع ملوك الإغريق وتسابقوا للفوز بقلبها إلى أن اختارت منيلاوس زوجا لها، ولكنها وقعت في غرام باريس بسبب سحر فينوس، إلهة الجمال عند الإغريق، عندما كان في ضيافة زوجها، واختارت الفرار معه إلى طروادة، متسببة باندلاع حرب لمدة عشرة سنوات، انتهت بسقوط طروادة، ومقتل ملكها بريام وأميرها هكتور، ولكن هيلين استطاعت الفرار مع باريس بعد انتهاء سحر فينوس، وعادت إلى زوجها منيلاوس.** [المترجم]

أعترف أني لم أسمع قط بهيلين الصورية حتى الآن.

هيباتيا : (قلقة) لا يمكن. استسلم أوريستوس لأهواء زوجته. يجب عليه أن يلغي العرض. تلك المسرحية ستثير غضب المسيحيين الأرثوذكس. سيظن كيرلس أن أوريستوس قد اتخذ قراره بمهاجمة الكنيسة.

ستيللا : لكن ما الخطير في مسرحية هيلين الصورية؟

هيباتيا : لا وقت لتوضيح ذلك. علي الإسراع إلى قصر أوريستيس. يجب تجنب حمام دم آخر في الإسكندرية.

نازاريوس : ليس من الحكمة الذهاب بمفردك. أيمكنني الذهاب معك؟

÷يباتيا : كما تشاء، أشكرك. وأنت يا إبونيوس، يمكنك أن تصحب ستيللا لتريها الحجرات الخلفية للأكاديمية.

إبونيوس : (يبتسم بدهاء لستيللا) لا شيء أكثر متعة، معلمتي.

(يغادر كل اثنين المسرح في اتجاهين مختلفين)

مشهد 6

كيرلس، وقلنسوة على رأسه، يخط بسرعة على منصة للكتابة. يدخل كاريوتيس.

كيرلس : أنت متأخر اليوم، يا ولدي. ظننت، ربما، أنك قد ارتددت بتأثير حورية البحر الوثنية تلك.

كاريوتيس : يجب ألا تشك في ولائي لك أبدا، كيرلس. لقد بقيت إلى وقت متأخر في الأكاديمية، لأن هيباتيا عرَّفتني على تلميذة جديدة، ابنة الأسقف سينسيوس.

كيرلس : ذلك الأسقف الزاني أنجب ابنة تتظاهر بأن لها ذكاء الرجال. وتركت بيت الخطيئة لتأتي لتتعلم على يد واعظة مهرطقة خطايا الأسلاف، الذين لم يعرفوا كلمة المسيح قط. يا إلهي، أمنحني القوة لأحارب

أعداءك! (قلقا) أنت، يا إلهي العظيم، من منحت الشجاعة للمسيحيين الأوائل، الذين تعرضوا للاضطهاد والذبح في ساحات روما، امنحني سيفا أسحقُ به الشر في هذا العالم. أنت شئت أن تتحول الإمبراطورية للإيمان بك، والآن، فإن لكنيستك القوة المطلقة. لن يكون لليهود ولا للوثنيين أن يزدهروا في هذه المدينة الخاطئة. سيتذكر التاريخ يد كيرلس الصالحة. يجب أن نسحق الأفعى.

كاريوتيس : لن يكون الأمر بمثل سهولة حرق معبد سيرابيس وتحطيم أصنامه الحجرية. إن الأكاديمية مؤسسة مهيبة، وهيباتيا مستشارة للحاكم، الذي يمثل السلطة الإمبراطورية في الإسكندرية.

كيرلس : إن مملكة الرب أقوى، والرب في صفنا. اليوم ستحدث أشياء خطيرة. يريد أوريستيس استفزازي بافتتاح المسرح، وهذا بلا شك بتحريض من هيباتيا.

كاريوتيس : وما علاقة المسرح بالكنيسة؟

كيرلس : المسرح ليس مجرد لهو بذيء، إنه عبادة وثنية لديونيسيوس. وبوضعه تلك العاهرة، التي اتخذها زوجة، على المسرح، فإن أوريستيس يريد أن يمسح إيمانه الفاحش في وجهي. لا يمكن أن أسمح لتلك الطقوس المعربدة بتحدي قرباني المقدس. أمس فقط، مررت بالمتحف، وكان سِفلة الناس يتجمعون عند الباب. كانت هيباتيا تلقي خطبة على العوام. أتى لرؤيتها أناس أكثر ممن أتوا لسماع موعظتي يوم الأحد. لابد وأنها تظن نفسها مبعوثة الأوليمب. مهرطقة! أرى من الصعب اعتقاد أنها عذراء. إلا، بالطبع، إذا كانت تشير إلى بُرجِها. إنها، في نهاية الأمر، مولعة برسم خرائط البروج.

كاريوتيس : لكن يا كيرلس، لا يمكن لوم هيباتيا على قرار أوريستيس. فمثل جميع الأفلاطونيين، تتخذ موقفا

صارما من المسرح.

كيرلس : لا تكن ساذجا، عزيزي كاريوتيس. (**يمسح على رأسه، ويربت على وجهه**) أفهم رغبتك في الدفاع عنها، في النهاية، أنت تلميذها. أتفهَّمُ أن دماءك الشابة ليست غير مبالية بقوى الفحولة المغوية. لكن تَعلَّم مني، لقد عشت أكثر منك. الانحراف هو السبيل إلى الذنب. يمكن للرجل أن يُعاقب على ذنوب لم يرتكبها. ما يهم هو إنفاذ العدالة. التحالف بين هيباتيا وأوريستيس سيكون سبب سقوط تلك المرأة الطموحة.

كاريوتيس : (**بجرأة، رافضا ملاطفات كيرلس**) وروح الانتقاد التي لديك، كيرلس، هل تلائم مسيحي صالح؟ لقد أدار المسيح خده الآخر. لم يَرِد على بَالِه أن يحطم الآخرين.

كيرلس : إني أغفر لك إهانتك. إن حبي لك يمنعني من

لومك. ومعلوم أن يسوع قد أدار خده وتواضع لأجل أن يجلب المديح لكهنوته، لكن مصيره أنتهى على الصليب شهيدا، لأنه ابن الرب. أما نحن فمجرد خدم أذلاء، ليس بمقدورنا اتّباع سلوكه تماما. إن مصير كنيسة المسيح ألّا ترى نفسها مصلوبة في الجلجثة[1]. يجب أن نضمن استمرارها عبر القرون، حتى إذا كان ضروريا، في بعض الأحيان، أن نتناسى التأسي بمن أسسها.

[1] **الجلجثة: أو الجمجمة، الموضع الذي تم فيه صلب المسيح بحسب روايات الأناجيل الأربعة.** [المترجم]

مشهد 7

أوريستيس جالسا، يقرأ في بردية، مخطوطة المسرحية. تظهر هيباتيا شديدة القلق. نازاريوس بعيد عنهما قليلا، ولكنه يبدو منصتا للحوار.

هيباتيا : أوريستيس، آمل أن تكون قد فكرت في ما يشوب طلبك من جنون.

أوريستيس : ما الأمر هيباتيا؟ ما لك تجفلين! كما لو كان الغوغاء يطاردونك. إن العرض لم يبدأ بعد. ديميتريا في غرفة الملابس، تتجمل، وقررت أن أجلس قليلا هنا على المسرح قبل العرض.

هيباتيا : لقد كنت في منزلك توا، وأخبروني أنك في المسرح. أوريستيس، أنصت! ما كان عليك أن تختار مسرحية بمثل هذا الموضوع المثير للجدل. كيرلس يرتقب أي

مبرر ليحرض الغوغاء.

أوريستيس : أيا ما أفعله سيكون دائما إهانة لكيرلس. إن مجرد افتتاح المسرح هو سبب اكثر من كاف، بالنسبة له، ليحرك عصاباته. حتى إن كانت ديمتريا تمثل آلام المسيح، وتلعب دور مريم المجدلية، فإن كيرلس سيحتج بأننا نزدري الإنجيل. عموما، لتجنب المواجهات، فقد زدت من عدد الجنود عند المسرح.

هيباتيا : لكن يا أوريستس، هل كان من الضروري فعلا اختيار رواية سمعان الساحر[1] للعرض الافتتاحي؟ كل الغنوصيين ملعونيين في نظر الكنيسة؛ لأنهم لم يخضعوا قط لعقائد روما. أخذ هؤلاء المتمردون على عاتقهم خلق مجموعة متنوعة وكبيرة من الأساطير. وأنت

[1] سيمون أو سمعان الساحر، أو سمعان المجوسي Simon magus: اسم استعمله الكتاب المسيحيون القدماء للإشارة إلى شخص عرف بأنه سامري غنوصي. أسس فرقة دينية خاصة به. درج المسيحيون الأوائل على اعتبار سمعان المجوسي أول الهراطقة، وفي الوقت عينه أول الغنوصيين، وقد ورد ذكره في أعمال الرسل. **[المترجم]**

تقوم باختيار أكثرها افتراء على الإطلاق. سمعان الساحر، الذي ادعى أنه مبعوث السماء، وأنه اكتشف روح العالم متجسدة في عاهرة شابة من شوارع صور. ويتجول الاثنان عبر المقاطعات الرومانية، يبشران بالحب الحر، والتناغم الكوني، بعد خمسين عاما من موت المسيح. لا يمكنك إيجاد تجديف أفظع من هذا لاستثارة كيرلس.

أوريستس : لست في حاجة لسرد الحبكة. في نهاية الأمر، فأنتِ من أخبرتِني بالقصة في الدرس ذات يوم. أنا فقط قررت أن أجعلها مسرحية.

هيباتيا : ها! إذن فأنتَ من يختبئ وراء اسم أريستوس طيبة، الذي لم يسمع به أحد من قبل.

أوريستس : (فخورا) يحق للحاكم أن يؤلف مسرحيات، وخاصة إذا كان متزوجا بممثلة موهوبة.. (مغيرا الموضوع) هل أحضرتِ خريطة الأبراج التي طلبتها منكِ؟ أريد

استشارتها قبل أن أقوم بسنِّ سياساتي الجديدة.

هيباتيا : لا يقدم التنجيم إجابة لكل شيء، أوريستس. لقد كان عقلي شديد الانشغال فنسيت إحضارها. لكن، إذا كنت متشوقا لرؤيتها، فيمكنني إحضارها. **(بصوت عالي)** نازاريوس!

نازاريوس : **(من مكان قريب)** نعم معلمتي.

هيباتيا : اصنع لي معروفا. بتعجلي للمجيء إلى هنا، نسيت خريطة أبراج الحاكم في مكتبي. أيمكن إحضارها لنا قبل رفع الستار؟

نازاريوس : بالتأكيد، معلمتي. **(يخرج)**

أوريستس : أن يكون لديك تلميذ مثله لهو مصدر راحة كبيرة للروح. أفتقد زمنَ كنتُ واحدا منهم.

هيباتيا : **(لم يلاحظا ديمتريا، التي كانت تستمع لهما من خلف الكواليس)** أوريستس، كنت دوما تستمع لنصيحتي،

وأنا أطلب منك أن تلغي هذا العرض. نح جانبا فخرك بكتابة تلك المسرحية، واقنع ديمتريا بالإلغاء. اشرح لها المخاطر التي نواجهها جميعا. إن كنيسة كيرلس هي الديانة الرسمية للإمبراطورية. ونحن، الوثنيون، كما يدعوننا، أقلية، ونفقد تأثيرنا بسرعة. إن الإمبراطورة في القسطنطينية مهووسة بالذهاب إلى الكنيسة، وتمضي أيامها في الاعتراف. إن ما تقوم به غير آمن، صديقي. ليلة واحدة على المسرح قد تكلفك مستقبلك. اذهب وأخبر ديمتريا بأن تزيل عنها مكياجها، قبل أن تبكي من خيبة الأمل. من الأفضل لها أن تبكي الآن قبل أن نبكي جميعا لاحقا. **(ديمتريا تظهر نفسها وتقترب منهما)**

ديمتريا : (متأثرة) هيباتيا العظيمة تغير! أنا أستعد لتأدية دوري، بينما السيدة المعلمة هنا، على المسرح، تتآمر مع زوجي. دائما ما يغار الفلاسفة من الممثلين. ترغبين في أن

تسلبيني لحظة مجدي، لكنني الممثلة هنا، وليس أنتِ. هناك الكثير من المنابر حيث يمكنك التألق كخطيبة، فلماذا، بحق الجحيم، تحرمينني من منبري؟ من الواضح أنك لا تعلمين شيئا عن المسرح. ربما كنتِ ضليعة في أفكار أفلوطين، وأبراج بطليموس، لكنك لا تعلمين شيئا عن المسرح. لقد وصلتِ إلى هنا، وبإشارة منكِ تريدين إلغاء العرض المسرحي. هيباتيا تُعطي الأوامر وعلينا أن نطيعها جميعا! لكنني لن أبكي وحدي. هناك فريق كبير كان يعمل ليل نهار من أجل إخراج ليلة الافتتاح بشكل ناجح. المسرح عمل جماعي، لا يشبه كتابتك للكتب في المنزل وحدك. خشبة المسرح التي ترينها هنا، أولئك الموسيقيين الذين تدربوا لساعات طويلة، أصدقائي الممثلين الذين أتوا من روما. كيف أبدو حين أخبرهم بعدم وجود مسرحية؟ لماذا؟ لأن الدكتور هيباتيا، منارة

الإسكندرية الثانية، قد أظهرت لنا الضوء الأحمر!

أوريستس : أهدأي، ديمتريا. أتفهم سبب استيائك، لكن هيباتيا هنا للمساعدة.

ديمتريا : (ساخرة) حسنا، في النهاية إنها مسرحيتك. دعنا نلغيها طاعة لأمر الرقيب، لكن ليس علينا أن نخدع الجمهور، لذا، أقترح أن نقدم عرضا هزليا صغيرا، يمكننا التدرب عليه الآن، لأن موعد فتح الأبواب قد أوشك. ربما تكونوا على علم بالقصة، إنها قصة حب متقاطعة النجوم[1]، لكن لا علاقة لها بالدين. لا تترددان في قرع الجرس إذا ما أخطأت في فهم أي شيء. **(بأسلوب أستاذي، تخاطب الجمهور)**

منذ عشرة سنوات، لم يكن الحاكم أوريستوس يحكم شيئا على الإطلاق؛ فقد كان مجرد طالب في

[1] متقاطعة النجوم Star-crossed: تعبير يصف حبا محبطا بين اثنين، بسبب مؤثرات خارجية. والعبارة صاغها شكسبير في رائعته "روميو وجولييت". **[المترجم]**

الأكاديمية، يتوق إلى الحكمة، أو من الأفضل القول، كان توقه إلى معلمته أكبر من توقه إلى موضوعات درسه. **(تتحرك هيباتيا مغادرة)**

هيباتيا : **(تتحدث إلى أوريستس)** أرفض أن أُهان من زوجتك.

ديمتريا : **(تشير إليها بحزم لتجلس)** من فضلكِ، أريدك أن تبقي. إذا كنتِ المرأة القوية كالرجال، كما يقولون في أنحاء المدينة، ستملكين الشجاعة لعرض مشاهد من حياتك. هل نسيتِ العبارة التي قالها الشاعر بالاداس[1]، وتذخر بالثناء عليكِ؟ "مسرحٌ تلك

---

[1] بالاداس: شاعر يوناني سكندري، عشق فيلسوفة الإسكندرية هيباتيا، ومما كتبه شعرا في حبها: أنتِ كالنجم الذي يسكن السماء
والنجوم بيتها السماء
إن ضوء شعاعك
لا تستطيع سوى السماء تحمله
يا هيباتيا العظيمة
إن كلماتِك هي الجمال والحكمة
وما الجمال والحكمة
سوى نجوم تضيء في السماء. [المترجم]

الحياة، وملهاة، لتكن الأشياء الجسام، وتعلم كيف ترقص أو تحيا في قلب المأساة". (**هيباتيا تنصت، متوترة. تواصل ديمتريا ملهاتها. تقوم هيباتيا لترحل، لكنها تبقى تراقب من بعد**) الشاب أوريستوس يعشق معلمته بجنون. دائما ما يكون للمعلمات الجميلات هذا التأثير على تلاميذهم. يسهل تشتت الشباب بفعل الحمية الطبيعية، وينسون تغذية أرواحهم. لكن هيباتيا عذراء قوية، وتعتزم أن تعطي تلميذها درسا. ذات يوم، بعد الدرس، استجمع شجاعته ليعلن لها عن حبه.

أوريستس : ديمتريا، توقفي عن هذا الهراء الآن.

ديمتريا : لا أستطيع، أنا أتدرب على ملهاة اليوم. نستطرد ما كان حينئذ ... يفتح أوريستس قلبه لمعلمته، لكن لم يكن لديه أية فكرة عن إجابتها، التي تدخرها له في سروالها. تنقض هيباتيا العظيمة على منفرجها، وتضع يدها عليه (**تصحب ديمتريا كلماتها بإخراج قطعة من القماش**

المخضبة بالدم، من تحت ملابسها) وتُخرج قطعة قماش مخضبة بدم الحيض. أوه، يا له من منظر مقزز! كما ترون فإن الفيلسوفات أيضا يحضن، مثلما يحدث لجميع النساء. حينها علمته هيباتيا الدرس، دفعت بالخرقة القذرة تحت أنفه (تُظهر ديمتريا المنشفة لأوريستس، الذي يدير وجهه، مُحرَجا): "تمعن، أيها الفتى، في هذه الخرقة. هذا ما تحبه فيَّ. ليس بالمنظر الجميل!"، تلك كانت الكلمات. ركض الفتى أوريستس، خزيان. قد توهنه الصدمة المروعة حتى موته. لا عجب. ضع نفسك مكانه. لقد استجمع شجاعته ليعلن حبه لتلك المرأة الحكيمة، وبمنتهى البساطة، تضع أمام أنفه البرهان الأحمر على وصولها لعمر الإنجاب. ومع وجود أيام عديدة في الشهر، فإن الفتى المسكين لم يصارحها إلا في فترة إدمائها، مثلما أنا الآن. لم يكن محظوظا على الإطلاق.

أوريستس : توقفي، ديمتريا. ألم يكفكِ ذلك؟

ديمتريا : قاربت على الانتهاء. أريد فقط أن أستخلص العبرة الأخلاقية من القصة، وهو الجزء الأفضل فيها. **(بلهجة أستاذية)** تخلى أوريستس عن حبها الميئوس منه، ومن حينها، كرَّس نفسه بشغف لدراساته والسياسة. لكن تصرُّف هيباتيا، بقدر ما بدا قاسيا، لم يكن بلا مقصد أو سبب. لا، لقد أرادت أن تُرِيَ أوريستس أنه أحب أدنى ما فيها، من أحوال إنسانية. ولأجل أن يرتقي سلم المعرفة، عليه أن يخمد مشاعره الحسية، وأن يُشعل عواطف الروح. كل الفلاسفة لديهم قصصهم المجازية. اختار أفلاطون قصة الكهف، وفضلت هيباتيا الفوط الصحية. من أنا لأنتقدها؟ **(يصفق أوريستس بهدوء، ساخرا)**

أوريستس : أحسنتِ، عزيزتي. كنتِ دائما رائعة في الارتجال. هذا إذن ما تقترحين عرضه بدلا من مسرحيتي؟

ديمتريا : نعم. هل ترضيك؟ على الأقل لن يقول أحد إنها غير صحيحة من الوجهة التاريخية.

هيباتيا : **(تقترب مجددا)** لقد فتحتي جُرحا في صداقتنا، لن يندمل أبدا. لاحق لك في الاستهزاء بي وبأكثر معتقداتي قدسية.

ديمتريا : الآن تعرفين ما شعرت به حين رأيتك تتآمرين على المسرحية التي كنت أعد لها لشهور. وأيضا، ليس لديك حق في حرماني من ما أعتبره مقدسا بالنسبة لي: فني، ومسرحي ... الآن نحن متعادلتان، هيباتيا.

هيباتيا : لقد فشلت في مهمتي. لا تتوقعا مني أن أبقى وأشاهد رواية هيلين وسمعان الساحر. أرجو فقط ألا يحدث ما أخشاه. وداعا، ولتكن السماء في عوننا. **(تتوجه بالحديث لنفسها)** سأذهب للبحث عن نازاريوس. لا أستغرب استغراقه هذا الوقت الطويل. كان ليذهب ويعود الآن.

مشهد 8

عند بركة ملساء كالمرآة، يلتقي نازاريوس بكاريوتيس

كاريوتيس : (يمسك بنازاريوس، ويربت على جذعه) لماذا العجلة، نازاريوس؟ لقد خرجت إلى المدينة، ولم تدعُني؟

نازاريوس : إذا كنت ذهبت، لكنت دعوتك، كاريوتيس. تعلم أني أهتم بك. لكن دعني أذهب. أنا متأخر. عليَّ تسليم هذا لهيباتيا.

كاريوتيس : ما تلك الورقة التي تعتبرها أهم مني؟

نازاريوس : لا أستطيع أن أريك إياها، إنها رسالة إلى أوريستس.

كاريوتيس : لقد ترقيت إذن كرسول للحاكم. يا لك من رجل عظيم! (يجذب ذراعه ويلويه ليجبره على إلقاء الرسالة)

لكن أولا ستعطيني هذه الرسالة، أيها الصغير نازاريوس. لقد تم تعييني مفتشا على البريد. أمن داخلي، كما تعلم.

نازاريوس : دعني كاريوتيس، أنت تؤذينني. ستكسر ذراعي. (**يجبره الألم على ترك الرسالة**) أنت همجي!

كاريوتيس : ولهذا تحبني. الهمج يتسمون بشدة الحمية.

نازاريوس : تلك وثيقة سرية. لا تفكر حتى في أن تفضها.

كاريوتيس : (**يفض الخاتم الشمعي ويفتحها**) لا تفكير في الأمر، حقا. ها هي، فُتحت. حسنا، حسنا، خريطة أبراج فلكية أخرى لهيباتيا، إلى سيادة الحاكم.

نازاريوس : (**بعصبية**) ماذا الآن؟

كاريوتيس : لا شيء. فقط ابق هادئا هنا، ولا تفعل أي شيء غبي. (**يقرأ**) عزيزنا أوريستس لديه العديد من الاصطفافات المنعكسة للنجوم في الأفق. السماء

ليست في صالحه. انظر قدر العار. اليوم تحديدا تستعد زوجته للصعود على المسرح عارية.

نازاريوس : لماذا أنت بهذا الغباء، كاريوتيس؟ ألم تعلمك الأكاديمية أي شيء؟

كاريوتيس : لكنني جاد. أليس التمثيل هو هدية ديمتريا للعالم. على الأقل، فإن من رأوها قبل أن تتزوج أوريستوس، يقولون ذلك. لكن المؤسف هو المسرحية التي اختارتها، رغم ذلك. فلن يكون الأسقف كيرلس سعيدا بها.

نازاريوس : تلك المسرحية لن يتم عرضها أبدا.

كاريوتيس : كيف يمكن أن تقول ذلك؟

نازاريوس : نصحت هباتيا أوريستس بالتخلي عن خطته، حتى لا يستفز كيرلس.

كاريوتيس : هيباتيا، تناصر كيرلس! وتتوقع مني أن أصدق

ذلك؟ **(يجذبه نحوه ويربت على شعره)** لقد قضيت الساعات الطوال أفكر في تلك المكتبة اللعينة، وهي ليست الأفضل لرأسك الصغير الجميل. **(يقبّله)** لماذا لا تفكر فيَّ بدلا من ذلك؟ إنه أكثر صحة من قراءة اللفائف وترتيل التوراة.

نازاريوس : سأخبرك بشيء، لكن لتعدني أن تبقيه سرا.

كاريوتيس : بالتأكيد. هل كنت تلعب دور الجاسوس؟

نازاريوس : لقد استمعت إلى حوار هيباتيا مع الحاكم. إن مسرحية شغف هيلين الصورية من تأليف أوريستس هيباتيا لم تكن تعلم ذلك. لقد علم قصة سمعان المجوسي عندما كان طالبا منذ عشر سنين. **(يظهر كيرلس فجأة، كما لو انبثق من الظل)**

مشهد 9

كيرلس : يا لها من قصة مثيرة تلك التي يحكيها لك صديقك!

(يتباعد كاريوتيس ونازاريوس فجأة، وتقع خريطة الأبراج الفلكية من يد كاريوتيس في البركة. يتحدث كيرلس إلى كاريوتيس) منحت نفسي حرية أن أتبعك كاريوتيس. في أجيج الخطيئة، تتبدى الكثير من الأسرار. لكن الآن، حان وقت الكفَّارة. **(تظهر ست شخصيات شريرة ترتدي عباءات ذات غطاء رأس، زي رهبانية، تخبئ وجوههم القلنسوات والأقنعة)**

كاريوتيس : (مرتعبا) ماذا تريد مني، كيرلس؟ لقد أغويت اليهودي للحصول على معلومات عن هيباتيا. إني أعمل لصالحك ولصالح كنيستنا.

كيرلس : أعلم، ليس هناك ما تخشاه، لقد اجتزت الاختبار.

نازاريوس : (**إلى كاريوتيس**) خائن مقزز! (**يتراجع محاولا الفرار**)

كيرلس : اقبض على هذا الحَمْل، كاريوتيس! (**كاريوتيس يطيع ويمسك بمعصم نازاريوس**) والآن، سيخبرنا فتانا، بصوت عال وواضح: من هو المؤلف الشرعي للمسرحية التي يجب أن نخضعها للرقابة اليوم؟ يجب أن نعرف اسمه لنجعله عبرة للهراطقة. يجب أن نطهر الإسكندرية من ذلك الوباء الوثني، الذي حل علينا. من هو، يا فتى؟

نازاريوس : إنه الحاكم.

كيرلس : لا. سألت عن المؤلف الشرعي. إن المؤلف امرأة، أليس كذلك؟ أولئك الأخوة يحتاجون سماع اسمها، ليمكنهم تأدية مهمتهم.

نازاريوس : لن يخرج من فمي افتراء.

كيرلس : انعش ذاكرته، كاريوتيس!

كاريوتيس : (بعصبية) لا أريد أن أؤذيه!

كيرلس : إذن، أنت تفضل أن تعاني العقاب الذي يستحقه اللواطيين؟

كاريوتيس : لا، مطلقا.

كيرلس : نحن ننتظر.

كاريوتيس : تكلم، نازاريوس! من الذي علَّم أوريستس حبكة المسرحية؟ (كاريوتيس يغطِّس رأس نازاريوس في مياه البركة) لا نريد غير الاسم! (يكرر ذلك عدة مرات، وفي كل مرة يدع رأس نازاريوس تحت الماء مدة أطول. يصبح كاريوتيس مفزوعا بسبب صمته) قل اسمها، أيها اليهودي القذر! لا أريد أن أقتلك.

كيرلس : إذا أخبرتنا بالاسم فسوف أغفر لك خطاياك، وهي كثيرة وخطيرة. عليك أن تعتبر هذا التعذيب كنوع

من التعميد. لا نريد موتك، يا بني. فأنت ما زلت شابا، وبمقدورك تخليص نفسك. لا تحتاج إلا أن تذكر اسم الطرف المذنب!

نازاريوس : **(واهنا، بعدما جذب كاريوتيس رأسه من الماء) هيباتيا.**

كيرلس : بصوت أعلى، بني! فاثنان من إخواننا يعانيان بعض الصمم.

نازاريوس : **(واهنا، بعدما جذب كاريوتيس رأسه من الماء) هيباتيا.**

كيرلس : سمع الجميع ما قال صديقنا. لقد تأكدت شكوكنا. هيا بنا إلى المسرح. لابد وأن العرض قد بدأ. **(يخرجون جميعا، عدا نازاريوس، الذي ينتحب إلى جوار البركة، وكاريوتيس. ينظر كلاهما للآخر نظرة أخيرة، ثم يخرج كاريوتيس. تدخل ستيللا وإبونيوس، يبحثان عن نازاريوس)**

مشهد 10

ستيللا : ماذا حدث لك نازاريوس، هل تعرضت للسرقة؟

إبونيوس ولماذا تبكي؟ من فعل ذلك بك؟

نازاريوس : أبكي لأني جبان. إني أحقر من دودة. أريد أن أموت. كنتم على حق. كاريوتيس هو يهوذا الجديد.

إبونيوس : توقعت أن يكون هو من وراء ذلك.

ستيللا : هيباتيا كانت قلقة عليك عندما لم تجدك. يبدو أنها قادرة على رؤية المستقبل.

نازاريوس : إنهم يريدون قتل هيباتيا. لابد أن نمنعهم!

إبونيوس : هل تهذي؟ من هم؟

نازاريوس : أتباع كيرلس.

مشهد 11

موسيقى شرقية، المسرح مُضاء بالمشاعل. تدخل ديمتريا في دور هيلين الصورية، وترقص محظية رقصة الحجاب. يجلس الممثل الذي يقوم بدور سمعان المجوسي في وضعية اللوتس، يرتدي كساء الصحراء. يبدأ الحوار حينما تنتهي الموسيقى. رجال يرتدون برانس ذات أغطية رأس عند الجمهور.

هيلين الصورية : رقصتُ كما أمرتني.

سمعان الساحر أشكرك هيلين. أنت ترقصين على إيقاع الكواكب. أنت المرأة التي كنت أبحث عنها في جميع موانئ أفريقيا والبوسفور.

هيلين : لكنك حتى لا تعرفني. كيف يحدث أن تبحث عني؟

سمعان : لأننا التقينا في حياة سابقة. في عينيك أرى انعكاس الوجوه التي أحببتها عبر قرون عدة، منذ بدء الزمان.

هيلين : إني أعتقد ذلك حقا. كثيرا ما حلمت برسول يمكنه الطيران، يأتي باحثا عني، ويأخذني لرؤية العالم، كما لوكنت نجمته الهادية. كانت زميلتي في السكن تضحك مني، وتقول إننا جميعا نحلم بالرجل الساحر الذي سينقذنا، لكن ما إن يصل حتى نخونه مع زبوننا التالي. لكننا مختلفان للغاية. لكن، كيف علمت أنك ستلقاني في ماخور، عند رصيف الميناء؟

سمعان : لأنني بحثت في كل مكان آخر. ألم يولد المسيح في إصطبل بسيط؟ عندما رأيتك في ذلك الماخور أدركت أنكِ لا تنتمين إلى هذا المكان. إن مهمتك أرقى من مجرد إرضاء النزوات الحقيرة للجسد. هيلين، أنا ساحر أحلامك، قادر على صنع

العجائب. من التحليق في الهواء، والهبوط على الأرض بخفة يمامة، وآمر الصخور أن تنفث الماء العذب كالينبوع، والتكلم مع الوحوش البرية، وترويضها بترنيمات، وترتيل قصيدة والإيحاء إلى الناس أن يوقظوا الرب داخلهم، لذا يمكن أن تسميني سمعان الساحر. إننا نمر بحياتنا نائمون. إذا أتيتِ معي، يمكننا أن نوقظ كل من سيستمع لنا، في القرى، وفي المدن، وفي الريف.

هيلين : لكنني خاطئة. ما الذي يمكن أن أعطيك إياه، ولا تقدر عليه أخرى؟

سمعان : اسمعي، هيلين، أنتِ نَفَسُ العالم. أنتِ لا تعرفين نفسكِ، لكن لديك قوة على الإلهام. ستكونين المرأة "البابا" لديانتي. أنا روح العالم التي تروم الضياء، لكن وحدي، يزداد حزني، وتخبو شعلتي. لهذا أحتاجك، وأنتِ تحتاجينني. كلانا معا، سنكون

أقوياء كآلهة. سيجعلنا الحب لا نُقهر.

هيلين : **(تضحك ضحكة دهشة ساخرة)** نَفَسُ العالم غانية، وروح العالم ساحر! لم أرى شخصا مجنونا مثلك من قبل! لكن إذا كان ذلك هو قانون الحب الذي ستعظ به العالم... **(يومئ سمعان أن "نعم")** فسأكون زوجتك، وأسافر عبر أبعد طرق الأرض معك. ستتعانق النفس والروح في أجسادنا. لم يرى هذا السرير زواجا بمثل هذه القداسة من قبل. **(يستمتعان بعناق غرامي. يخترق الرجال المقنَّعون صفوف الجمهور، بين صرخات الاعتراض والصفير)**

المقنَّع 1 : أوقفوا هذه القذارة!

المقنَّع 2 : إنهم يسخرون من مسيحنا! سيحترقون في الجحيم!

المقنَّع 3 : هذه فظاعة! يبدو كما لو أنه إنجيل مريم المجدلية.

المقنَّع 1 : أراهن أن من كتب تلك القذارة وثني. **(يقاطع أوريستس المسرحية. يسير إلى منتصف خشبة المسرح،**

ويحاول تهدئة الأمور)

أوريستس : هدوء، أيها السادة. نحن في مسرح. لا أحد هنا يحاول الإساءة إلى معتقدات الآخرين. الممثلون لا يفعلون أكثر من تأدية أدوار تمثيلية. ارجعوا إلى الحس السليم، وقدروا أن ما نسمعه هو لغة الفن.

المقنَّع 2 : الموت للوثنيين! **(نسمع شتائم، يتبعها مقذوف، أطلقه أحد المقنعين، يصيب رأس أوريستيس، ويؤدي إلى سقوطه. تهرع ديمتريا بلهفة إلى زوجها. الرجال المقنعون يركضون عبر المسرح وهم يحملون مشاعل)**

ديمتريا : (إلى الجمهور) أيها الحراس، أقبضوا على أولئك المجرمين! **(يرفع أوريستيس رأسه المخضبة بالدماء، ويأمر باعتقال مثيري الشغب. يشل اثنان من الكومبارس حركة المقنَّع 2، ويحملانه إلى خشبة المسرح)**

أوريستيس : اضربوا بالسياط ذلك الذي اعتدى عليَّ، حتى يلفظ بأسماء جميع المسؤولين عن ذلك العمل الإرهابي!

مشهد 12

ستيللا وهيباتيا تنزلان من عربة. على بعد خطوتين من منزل هيباتيا.

هيباتيا : لابد وأن العرض على وشك الانتهاء الآن. لدي هواجس مريعة.

ستيللا : كيف سارت الأمور برأيك؟ أكد لي إبونيوس أنه سيعلمنا إذا ما كان هناك ما نحذر منه.

هيباتيا : أشعر بالسوء أنك لم تذهبي معه بسببي. لا يعني ذلك أنني أحب إشعال نار الهوى بين طلابي، لكن، ربما كان عليكِ الذهاب. لكنكِ وصلتِ للتو. قومي بزيارته حينما تستطيعين، إنه أفضل مسرح في المدينة.

ستيللا : سندع ذلك ليوم آخر. بعدما عثرنا على المسكين

نازاريوس، في تلك الحالة، لم يعد لدي رغبة في حضور العرض الأول في المسرح. أيمكن أن ندخل، معلمتي؟

هيباتيا : **(تنظر إلى السماء)** لنبقى هنا قليلا. إنها من أمسيات شهر مارس الدافئة، أعلم أنك مرهقة من رحلتك، لكنني أحس بقشعريرة في أنحاء جسدي، كما لو أن موجودات خفية تريد أن تتواصل معي، ولا أستطيع فك شفرة لغتها. كم هو محزن، ستيللا، أن تكوني صماء أمام أسرار الكون العظمى. **(كأنما تحاول الإنصات لشيء غير مسموع)**

ستيللا : كم هو غريب أن تقولي ذلك بالتحديد، معلمتي. أنت من دانت لك، كما لم يحدث لأحد، ألغاز الفلسفة والرياضيات، وعلم الفلك، والموسيقى! **(إلى الجمهور كما لو كانت تخاطب جمهورا متخيلا)** تعرف

هيباتيا أسرار إليوسيس[1]، لذا فأنا غير مندهشة من سماعها لصوت الأرواح. (**تتوجه إليها**) أخبريني، أيها أسرَّ إليك بهذه النغمة: (**ترنم**) "وأنا أجمع، يا أمي، النرجس البري، وقتُ..."

هيباتيا : كيف عرفتِ هذه الأغنية؟ كنت في مثل عمرك حين كتبتها.

ستيللا : تعلمها أبي منكِ. وعلمها لأمي، وكانت تغنيها لي لأنام، في الليالي المقمرة. وحفظت كلماتها.

هيباتيا : أحب أن أسمعها بصوتكِ. سأجلب الناي. ربما كان ذلك ما تريده ربات الفنون مني. (**بجدية**) أغنية وداع.

ستيللا : لماذا وداع؟ لقد وصلت اليوم فقط.

---

[1] أسرار إليوسيس: طقوس دخول أو انضمام، تُجرى كل عام في عبادة ديميتر وبيرسيفون، القائمة في إليوسيس، في اليونان القديمة. وهي أشهر الشعائر الدينية السرية في اليونان القديمة. **[المترجم]**

هيباتيا : (تقطع المحادثة) وداع، أقصد، قبل أن نذهب للنوم. (تقوم لإحضار الناي) لقد نسيت الناي على المقعد في الحديقة. ربما يكون قد سُرق.

ستيللا : اعتدت على الترنم بهذه الأغنية لأمي. أشعرها إلى جواري، في كل مرة أغنيها. كما لو كنت بيرسيفون المخطوفة[1] تنادي أمها، من أرض الموتى. (تجلس هيباتيا، وتشرع في العزف على الناي، وتؤديان الأغنية معا)

ستيللا : وأنا أقطف النرجس البري، يا أمي
هويت إلى أسفل
هنا في القاع، يا أمي، في تلك التلال المظلمة
أفتقدك كثيرا

---

[1] **بيرسيفون المخطوفة**: في الأساطير اليونانية القديمة، هي ابنة ديميتر ربة الأراضي المنزرعة وزيوس. جمالها أخاذ. أعجب لها هاديس، رب الموتى والعالم السفلي، فاختطفها، وظلت تصرخ، فسمعتها أمها، فانفطر قلبها. بعث زيوس بهيرميس إلى هاديس، ليخلى سبيل بيرسيفون، ولكن هاديس كان قد تزوجها في العالم السفلي، وتوجها ملكة على عالم الموتى. وأعلن هاديس أنه يمتثل لطلب كبير الآلهة، بإعادة بيرسيفون إلى أمها، ولكن قبل أن يتركها أطعمها حبة من رمان، تجعلها تعود إليه حتما. **[المترجم]**

رب الموت هو خاطفي

رماناته، كخدعة الغراب

الآن أصبحت أحب تلك الليالي اللانهائية

وقلبي عالق به بلا قتال

هيباتيا : أردتِ أن تهب الحياة اختيارا آخر

والحياة داخلي لن تبقى بعيدا عنكِ

الفيافي تصرخ في صوتي

إذ لم أعد أعرف كيف تنمو الحبوب فيها

ستيللا : وأنا أقطف النرجس البري، يا أمي

سرعان ما نسيت

أنه في ليلة الحياة التي ترتعد

مِتُّ كثيرا

تقدستُ بحبه لي

نائمة ولكن عيناي ترى

أماه، أشتاق إلى نورك المتألق

إن حبي للموت محنة مؤلمة

هيباتيا : انظري، في الربيع ستضمين يديك معي

وتدعين زوجك ينتظر هناك وحيدا

وروح العالم بأكمله، ابنتي، ستكونين

وما وراء الحياة والموت ستجدين بيتا جديدا

ستيللا : **(بعد الانتهاء من الأغنية، منزعجة)** أنظري. حشد من الناس قادم. يبدون كالغوغاء. ماذا يفعلون في الطريق في هذه الساعة؟

هيباتيا : اسمعي ستيللا. إذا حدث أي شيء لي، يمكنك العيش في منزلي. ليس لدي أولاد. لم ألتقي بكِ غير اليوم، لكن الأمر كما لو كنا صديقتان منذ زمن. كونك ابنة سينيسيوس، فكأنما أنتِ ابنتي أيضا. لقد كتبت ذلك، لذا، فسيكون لديك كل ما تحتاجين إليه. واصلي دراستك في الأكاديمية، إذا لم يقوموا بإغلاقها. على أية حال، أيا كان ما سيحدث، لا

تستسلمي أبدا. إن سبيل الروح طويل ومرير. لكن حلوة وأبدية ستكون الثمرة التي ستجنينها. وتذكري، سأتابعك من ما وراء.

ستيللا : (قلقة) إذن، فإن ما يقوله نازاريوس صحيح؟ هؤلاء الناس ينون قتلك؟

هيباتيا : نعم، ستيللا! وأفضل أن أتجرع كاسا من سم الشوكران من تلك الطغمة من الوحوش الذين يشقون طريقهم إلى هنا. (تنظر إلى السماء) إن روحي الآن تشبه بيرسيفوني، التي تطلب من أمها، ديمتير، أن تأخذها بسرعة من هذا الجحيم.

ستيللا : (تُلقي بنفسها بين ذراعي هيباتيا) يا له من أمر رهيب، هيباتيا! يقتلونك وأنت الشيء الأكثر تألقا في قلب هذه الصحراء. إن قدري أن أفقد الذين أحبهم حبا جما. أولا أبي، ثم أخي، ثم أمي، والآن معلمتي.

هيباتيا : تحملي همَّك بشجاعة. الصراعات بين الآلهة تسبب

الذعر للبشر الفانين. اخترت لشاهد قبري سؤال وجهه بالاداس[1]، صديق مات قبلي (تردد قول **بالاداس السكندري**):

"أيمكن أن نكون موتى بالفعل،

ونبدو، فقط، أحياء،

نحن اليونان، الذين حُرمنا من النعمة الإلهية،

وتصورنا أن الحياة حلم،

أم أننا أحياء، ومن مات هو الحياة؟"

[1] **بالاداس Palladas:** شاعر يوناني ومعلم للأدب، عاش في الإسكندرية، مصر، في القرن الرابع الميلادي، وعاصر أعمال الشغب المناهضة للوثنية بقيادة الأسقف ثيوفيلوس. وله قصيدة في تأبين هيباتيا. **[المترجم]**

مشهد 13

يتقدم الرجال المقنعون إلى الأمام، يحمل بعضهم المشاعل. وبينهم كاريوتيس.

المقنَّع 1 : المكان شديد الظلمة هنا. لا يمكنني معرفة أيُّهنَّ هي الساحرة.

كاريوتيس : سأعثر لك على هيباتيا. **(يمشي نحو المرأتين)** مساء الخير، معلمة **(يقبلها على وجنتها)** تعطين دروس موسيقى بعد الدوام، أليس كذلك؟

هيباتيا : ألا تخجل من نفسك؟ تتحدث بأدب بعد ما ارتكبت من شرور مع نازاريوس ومعنا جميعا؟

كاريوتيس : المصائب لا تأتي فُرادى، معلمتي. ولا يمكنني فعل شيء حيال ذلك.

المقنَّع 1 : (صارخا) لنأخذها، أيها الأخوة! الأفعى الوثنية لن تُبتلي الإسكندرية بعد ذلك. **(رجلان مقنعان يمسكان بذراعيها بعنف)**

المقنَّع 2 : **(يمسك ذراع ستيللا)** وتلميذتها؟ أنأخذها معنا لتلقي عليها درسها الأخير؟

كاريوتيس : دعها. لقد وصلت اليوم فقط. لا تكاد تعرف إحداهما الأخرى. **(يطيع الرجل المقنَّع كاريوتيس. يمسك الغوغاء الثائرون بهيباتيا ويأخذونها إلى خارج المسرح. تبقى ستيللا وحدها مع كاريوتيس)**

مشهد 14

ستيللا : **(تحاول الخروج خلف الغوغاء، لكن كاريوتيس يمنعها، ويعترض طريقها)** هؤلاء الوحوش سيقتلونها. يجب لأحد أن يفعل شيئا ما. استدع السلطات... لا أستطيع تصديق ما فعلتَ؛ تلميذها يسلمها لأيدي أولئك القتلة.

كاريوتيس : لقد أنقذت حياتك. لا تبحثي عن أسباب تضعك في خطر مرة أخرى. لا أحد بمقدوره إيقاف غضب الغوغاء. هيباتيا بالنسبة لهم شيطانة وثنية، يجب ذبحها. سيمزقون ملابسها، ويسوقونها حول الميدان. لكنهم لن يرضوا حتى يمزقون لحمها بأصداف المحار، ويحرقون ما يبقى منها على جبل

سينارون.

ستيللا : تلك إذن الطريقة التي سيقتلونها بها ... وأنت تصفها كجزار قاسي. لقد رغبت في القدوم إلى الإسكندرية بشدة، لكن ليس من أجل مواجهة الشر الخالص. لا أعلم لماذا أبقيت عل حياتي. لا تتوقع أبدا أن أمتن لك! **(يشرع كاريوتيس في الحديث، لكن ستيللا تغطي أذنيها بكفيها)** أرجوك، لا تدنس أذنيَّ أكثر من ذلك بكلماتك! اذهب إليهم. أنت تشبههم. ليس بيننا شيء مشترك عدا حقيقة أن كلانا يقف في ذلك الموضع نفسه، في تلك الليلة الملعونة. **(يخرج كاريوتيس. تركض ستيللا، مرتبكة، نحو الجمهور، فتلقى كيرلس، متنكرا في هيئة شحاذ كهل)**

مشهد 15

كيرلس : إلى أين أنت ذاهبة يا طفلتي؟ ألا يجب أن تكوني آمنة في بيتك؟ **(ستيللا لا تتمكن من منع بكائها)** لا تبكي على معلمتك. لقد كنت مختبئا في الأجمة، ورأيت المصير المحزن الذي حل بها.

ستيللا : نحن في حاجة إلى مساعدة. سيقتلونها!

كيرلس : أوه، يا طفلتي، لقد توقف قلبها عن النبض. هناك الكثير منهم، وكان غضبهم عارما.

ستيللا : لماذا كل هذه الكراهية؟ لقد كرَّست حياتها لأجل العلم والتدريس.

كيرلس : وأي شيء طيب فعلته كل هذه المعرفة والعلم لها؟ لقد واجهت مصيرا أكثر عارا من مصير الزناة والسحرة.

وخانها أحد تلاميذها. لا تتخذيها قدوة، يا طفلتي. لقد مارست خطيئة الوثنية. لقد شاركت إرادة الرب هؤلاء البسطاء في تنفيذهم للعدالة الشعبية. هؤلاء المؤمنين، ليس لديهم فكرة عما يتم تدريسه في الأكاديمية، أو ما هي الكتب المصفوفة على أرففها. إنهم يحيون حياة بسيطة من العمل الشاق، وبعيدة عن طموح الحكماء، التي لم ينتفعوا بدراساتهم شيئا قط. هيباتيا بالنسبة لهم مهرطقة، خاطئة، لا تستحق المغفرة، رفضت قطيع كنيستنا. كبرياؤها هو ما أثار غضبهم العارم. كل شيء على ما يرام، يا طفلتي. الرب يعلم ما يفعل. المسيحي الصالح ليس في حاجة إلى سحر النجوم، أو الفلسفات، التي تلقي بظلال الشك على كل شيء. وماذا إن كان لتلك المرأة، ابنة الزنا، أن تموت؟ وماذا إن أُحرقت كل أرفف المكتبة؟ فكل ما نحتاجه هو كلمة الرب في الإنجيل، الكتاب

الذي يساوي كل الكتب إن وضعت معا.

ستيللا : أي نوع من المتسولين أنت؟ خلف هيئة الفقر تلك يقبع رسول لعين للجهل. لا يمكن أن يكون ربك أبا للمسيح. رب المحبة والشفقة لا يحرض أطفاله على القتل.

كيرلس : (متهكما) أنت فتاة مزعجة، لقد رأيتني خلال تنكري! ظننت أن زي المتسول سيجعلني أختلط بالعامة. كما ترين، أنا أعرف شيئا أو شيئين عن المسرح. أنا الأسقف كيرلس، بطريرك هذه المدينة. وقد رسَّم عمي ثيوفيلوس أباكِ أسقفا. سعيد بلقائك. مرّي على الكاتدرائية في أي يوم، وافتحي قلبك للطريق الحق!

(يخرج كيرلس. تسمرت ستيللا في مكانها، تفتح فمها كما لو كانت سترد عليه، لكنه تعود فتغلقه)

مشهد 16

أوريستوس، بضمادات حول رأسه، وديمتريا تنتظر بفارغ الصبر وصول بولكيريا، الإمبراطورة. في الخلفية كرسي إمبراطوري.

ديمتريا : ألن تصل أبدا؟ لقد أرسلت لنا على عجل، وها هي غير موجودة في انتظارنا.

ديمتريا : بولكيريا تمارس حرب أعصاب. إنه استعراضها للسلطة. إنها لا تريد إلا أن أشعر بالعبء الأكبر بفعل سلطتها.

ديمتريا : سلطة هشة للغاية. تبقى بولكيريا إمبراطورة ما دام أخوها صغيرا فقط. وما أن يبلغ أخوها الصبي السن القانونية للحكم، فسوف تعود إلى الدير،

وتبقى فيه إلى الأبد.

أوريستس : ربما لا. إنهم يقولون إن ثيودوسيوس الصغير ضعيف كأبيه. حتى إذا بلغ مبلغ الرجال، فستظل أخته حاكمة لمصير بيزنطة. (**متحديا ديمتريا**) تحب النساء التحكم في ظل الرجل، والرجال بدورهم، لا يدركون حتى أنهم يُتلاعب بهم. لا يتوقف الرجال الناضجون عن الرضاعة من النساء، اللائي حللن محل أمهاتهم.

ديمتريا : العكس هو الصحيح. يشعر الرجال بوجوب تحكمهم في النساء.

أوريستيس : أنتِ عنيدة جدا! ودرامية للغاية. كانت هيباتيا لتظل حية إذا كنتِ استجبتِ لنصيحتها، ولكنت أنا تجنبت حرج الإهانة بواسطة مجموعة من المتعصبين. ستنزلق الإسكندرية من بين أصابعي، وسترين. بولكيريا كانت تنتظر سببا فقط. وها أنت، بعرضك

المسرحي أمس، منحتِها السبب الذي كانت تنتظره.

ديمتريا : عرضي المسرحي، ألم يكن عرضك! لا تنسى: المسرحية من تأليفك. وإذا كان ما تقول صحيح، إذا كانت ستقوم بعزلك، فماذا في ذلك؟ مدينة تبصق على المسرح، وتحرض على قتل أرواح نبيلة، لا تستحق مجهودك. و إذا كنتَ مصرا، فسينتهي بك الأمر مثل هيباتيا، وعظامك مشوية في الساحة العامة.

أوريستيس : أنتِ محقة، ديمتريا. بعد كل ذلك، أشعر بالرغبة في الذهاب بعيدا بقدر المستطاع، معك.

ديمتريا : أترى، وحينئذ تقول لي أني من طلب ذلك، أوريستيس. أنا فقط أقرأ ما في نفسك.

مشهد 17

تدخل بولكيريا، في زيها الإمبراطوري، ترتدي ملابس الحداد.

بولكيريا : لقد اضطررتما إلى الانتظار قليلا بسبب إنهاء الصلوات التاسوعية[1] الصباحية. قمتُ باستدعائكما لسببين، سأبدأ بأقلهما أهمية. (إلى ديمتريا) ديمتريا تعلم أنني أحتقر ميلها إلى المسرح. أنا مسيحية، وقد نشأ المسرح مع آلهة اليونان الزائفة، ويُعد رذيلة يجب استئصالها من تقاليدنا. كنتُ مستاءة بسماع أنها باشرت ذلك العرض

[1] الصلوات التاسوعية: في التراث المسيحي، هي صلوات تعبدية، منفردة أو في مجموعة، تتكرر على مدى تسعة أيام متتالية. [المترجم]

اللاأخلاقي، هذا غير لائق بزوجة الحاكم...

ديمتريا : (**بحدة**)... لم يكد العرض يبدأ حتى قام أولئك الأوباش باقتحام المسرح!

بولكيريا : لا تقاطعينني! ما فعلوه أمر جيد. (**ترسم علامة الصليب**) إن الرب يؤكد مشيئته، في هذا العالم، من خلال الفقراء إلى الروح.

ديمتريا : جلالتك تمنعينني من ممارسة مهنتي إذن؟

بولكيريا : لستِ في حاجة لذلك، فكما ترين... أذكر الآن السبب الثاني لاستدعائكما. أوريستيس، كان تصرفك غير مسؤول. لقد استسلمت لغرور تلك المرأة، التي تبخترت نصف عارية فوق أكبر مسرح في المدينة. وأدى بك ذلك إلى القبض على مسيحي صالح، وجَلْدِه حتى الموت في السجن.

أوريستيس : لكن، بولكيريا العظيمة! لقد ضربني ذلك الرجل

على رأسي، وكان ينتمي إلى طائفة من مثيري الشغب الخطيرين. وهم أنفسهم من قضى على حياة هيباتيا العظيمة.

بولكيريا : (متململة) نحن لا نتحدث عن قضيتها، وإنما عن قضيتك أنت، أوريستيس. لقد فقدت سلطتك على شعب الإسكندرية. وأرى لزاما عليَّ أن أعزلك من منصبك. ولكن تكريما لخدماتك السابقة الجيدة، أنوي إرسالك إلى جزيرة قبرص، لإدارة مناجم النحاس خاصتنا هناك.

أوريستيس : (بمرارة) إذن، سوف أكون رئيس عمال في جزيرة منسية. حسنا، مولاتي الإمبراطورة. أقبل ما تكرمتي به عليَّ بطيب خاطر. ربما تُعامل هناك ممثلة، مثل ديمتريا، على نحو أفضل. لكن لي طلب أخير.

بولكيريا : أذكره.

أوريستيس : أتوسل إليك ألا تسمحي لهذه الجريمة الشنعاء، التي

لطخت تاريخ مدينتنا إلى الأبد، أن تمر دون عقاب. ما الذي فعلته هيباتيا لتستحق أن تموت بتلك الطريقة البشعة؟

بولكيريا : لا أشعر بأي تعاطف مع الوثنيين، لكن هذا لا يمنعني من أن اشعر بالشفقة نحوها، في فترة الحداد هذه. لذا، طلبت نصيحة مستشار أثق به، ليرشدني إلى القرار الصحيح. فاقترح أن ننسى ما كان من أمر الدم المراق، وبذلك نتجنب إراقة المزيد من الدماء. تلك المرأة كانت روحا ضالة. بالتأكيد سيرشدها الرب، في موتها، إلى النور الحقيقي. فلن ندع الانتقام يأكل القلوب.

أوريستيس : أنا أطلب العدالة لا الانتقام!

ديمتريا : (ساخرة) سأكون فضولية، جلالة الإمبراطورة، برغبتي في لقاء ذلك المستشار.

بولكيريا : **(يدخل كيرلس، بابتسامة ساروفية[1])** ها هو ذا**!** يمكنك تقبيل يده، والحصول على بركته، قبل أن يبحر إلى قبرص. **(يمد كيرلس يده)**

أوريستيس : **(في خضوع ساخر)** أوه، لا، مولاتي الإمبراطورة**!** لقد كنَّا نحارب الحريق في المكتبة، وقد تشققت شفاهنا من حر النار والدخان، فيمكن أن يلوثوا اليد المقدسة للأسقف كيرلس.

---

[1] **ساروفية:** نسبة إلى ساروفيم، وهي الملائكة من المرتبة الخامسة، في المسيحية واليهودية. وكلمة ساروفيم، في العبرية، تعني: النار، وغالبا هي المقصودة بوصف ابتسامة كيرلس هنا، ولعل المقصود: ابتسامة شيطانية. **[المترجم]**

مشهد 18

تقف ستيللا وإبونيس إلى جوار باب مغلق. وثمة نار خلف الباب، يدل عليها وميض الضوء والدخان

ستيللا : نازاريوس، افتح الباب! نعلم أنك في الداخل.

إبونيوس : هل أنت مجنون؟ افتح الباب! هل تريد أن تحترق حتى الموت؟

ستيللا : إنه لا يجيب. هل تراه فقد الوعي؟

إبونيوس : (يدفع الباب دون أن ينجح في فتحه) هذا الأحمق أغلق على نفسه في الداخل. (أخيرا ينجح في فتح الباب عنوة)

ستيللا : لا أستطيع رؤية أي شيء في هذا الدخان! (تعثر عليه) انظر، ها هو ذا على الأرض!

إبونيوس : سأُحضره.

ستيللا : كن حذرا، إبونيوس، السقف على وشك الانهيار.

(يختفي إبونيوس داخل الحجرة، بينما ظلت ستيللا في الخارج تراقبه. يخرج إبونيوس وهو يحمل نازاريوس فاقد الوعي. يضعه على الأرض، ويحاول الاثنان إفاقته. تبلل ستيللا شفتاه بقارورة ماء. يفيق نازاريوس)

إبونيوس : لنخرج من هنا. الأرضية على وشك الاحتراق. **(يحملانه إلى أسفل المسرح)**

نازاريوس : (مرتجفا) لماذا أيقظتماني؟ كنت أريد أن أموت بصحبة كتبي.

إبونيوس : الهجوم الثالث على المكتبة هذا العام. لكن هذا هو الأخطر من بينها.

ستيللا : من الصعب التصديق أنه يمكن لأي شخص فعل ذلك. المكتبات هي غابات المعرفة، ولكن بعد

حرقها لا تنمو من جديد.

إبونيوس : (إلى نازاريوس) لماذا تريد أن تموت؟ ألا ترى أن هناك ما يكفي من الموت؟ ألم يكفي موت هيباتيا، والآن يريدون قتل الموتى من الأساتذة، الذين يحيون في الكتب فقط. لا يمكن أن ندعهم يفوزون. لن نترك هذه الأكاديمية مغلقة ما دمنا أحياء، وما دامت هناك مخطوطة واحدة باقية، سنقاتل من أجل أن تبقى مفتوحة.

نازاريوس : هؤلاء البرابرة، القوا بالشعلات في حجرة القراءة.

ستيللا : لقد وصلت في الوقت المناسب لكي أرى المكان الذي حلمت به يحترق. الإسكندرية، لقد وصلت متأخرة.

ناززاريوس : وقمت أنا بخيانة هيباتيا. أنا لا أستحق صداقتكما. كان يجب أن تتركوني في الداخل، لأصير مسودا

ومتفحما.

إبونيوس : أوه! إذن لأصبح لدينا طالبا أسود آخر، رغم أني أفضل أن أكون الوحيد.

ستيللا : اسمع، نازاريوس! لقد قلت ما قلت تحت التعذيب. لقد دبروا قتل هيباتيا بأي حال. إنما فعلوا ذلك معك لإخافتنا جميعا.

إبونيوس : من الضروري أن ننقذ أعمالها. لقد أحرقوا قسم القراءة العام، لكن كل ما تركته هيباتيا لنا ما زال آمنا في مكتبها.

نازاريوس : (**متجدد الروح**) أشكركم لمنحي القوة، أصدقائي. أشعر أنني كالعنقاء التي تنبعث من الرماد. هل تعلمان ما أنوي فعله؟ إطفاء ذلك الحريق حتى لا يمتد إلى بقية المتحف.

إبونيوس : عمل جيد. سننضم إليك بعدما نتأكد من سلامة

كتاباتها. (تخرج ستيللا وإبونيوس، ويصتدمان بكاريوتيس يحمل لفائف في عربة يدوية، تحاصره ستيللا وإبونيس)

مشهد 19

ستيللا : ماذا تفعل هنا؟

إبونيوس : إلى أين تظن أنك تأخذ هذه اللفائف؟

كاريوتيس : إلى مثواها الأخير؛ المحرقة.

ستيللا : كيف أمكن أن تكون تلميذا لهيباتيا؟

كاريوتيس : تلك الكتابات أعداء لإيماني.

إبونيوس : لن ندعك تقتلها مرة ثانية. تلك الأعمال هي كل ما تبقى منها للأجيال القادمة.

كاريوتيس : إرثها سيكون موتها الوحشي. الناس يحبون الجرائم الدموية.

ستيللا : كل طائفتك يشعرون بالغيرة من هيباتيا، حتى بعد

موتها. وأسقفك الحبيب كيرلس لا يستطيع مواجهة حقيقة أنها ستجد في منتداها إقبالا أكبر مما سيجده في عظاته المنبرية. وأنت الخادم المتزلف لهذا القاتل، الذي يستدعي اسم الرب كلما سنحت له الفرصة.

كاريوتيس : عاهرة! لقد وصلتي أمس فقط، وها أنتِ تشاركين هذا العبد.

ستيللا : أنت هو العبد، عبد للشيطان الذي امتلكك.

كاريوتيس : **(بإيماءات فاحشة)** أما أنتِ، أيتها العاهرة، فقد امتلكك عاشقك الأسود، الذي تشتاقين إلى جسده.

إبونيوس : لا تهين ستيللا أمامي **(يطرحه إبونيوس أرضا، ويتقاتلان. يُخرج كاريوتيس خنجرا قصيرا، ويمسك بستيللا كرهينة، واضعا النصل على رقبتها)**

كاريوتيس : (إلى إبونيوس) إذا لمست تلك اللفائف، فهي امرأة ميتة. **(رجلان مقنعان بغطاء رأس يظهران، ويأخذان العربة واللفائف خارج المسرح. يطلق كاريوتيس سراح ستيللا)**

مشهد 20

سينيسيوس، مواجها الجمهور، شبح حي.

سينيسوس : (ينظر إلى ستيللا، التي تقف خلفه، ساكنة تماما) لا، يا ابنتي، لم آتي لآخذك. لم يحن الوقت بعد بالنسبة لكِ لترحلي إلى هذا الجانب. لكن حزني عظيم؛ فالإسكندرية التي لقيتِها لا علاقة لها بالمدينة التي أحببتُها كثيرا. أنا، سينسيوس القوريناني المتوفَّى، هنا، لأخبرك أن أعداء هيباتيا حصلوا على مرادهم. فقط ثلاثة أو أربعة من كتبها هي المعروفة، لأن بقيتها فُقدت في الحريق. الأمر الأكثر ترويعا هو المجد الذي حازه كيرلس، الذي يعلم الجميع أنه العقل المدبر لتلك الجريمة. لكن هذا لم يؤدي إلى

تشويه صورته. لقد وُلد ذلك الثعلب الكهل في نفس العام الذي ولدتُ فيه، وعاش حتى وافى الرابعة والسبعين ... في النهاية، قدَّسُوه. هذا صحيح! جعلوه قديسا، القديس كيرلس السكندري، ويحتفل به المسيحيون الكاثوليك في التاسع من فبراير، والأرثوذكس في التاسع من يونيو. وفي عام 1882، أعلنه البابا ليو الثالث عشر معلما للكنيسة[1]. أنا شبح المسرح، لكنني لست كاذبا. ارجعي إلى الموسوعة إذا كنتِ لا تصدقينني. وداعا أصدقائي. واستمعوا إلى بعض النصائح من رجل أصلع، مات منذ زمن، وكان أسقفا، ولكنه، قط، لم يبقى صامتا في مواجهة الأكاذيب، ولم يصلي قط للقديس كيرلس! (يضحك وهو يخرج)

[1] **doctor of the Church**: لقب، معناه: المعلم، تمنحه الكنيسة الكاثوليكية للقديسين المعروفين بمساهماتهم المميزة للاهوت من خلال أبحاثهم وكتاباتهم وتعليمهم. **[المترجم]**

مشهد 21

كل الممثلين فوق خشبة المسرح، يجمعون الأوراق المتناثرة. يتناوبون على قراءة القصيدة التي تقرأ عنوانها بصوت عالٍ الممثلة التي تقوم بدور ستيلا: درس هيباتيا الأخير- قصيدة في سبعة مقاطع. يتم المشاركة في القراءة من جانب طاقم العمل بأكمله، في نوع من القراءة المسرحية. يجب أن تقرأ مونولوجات هيباتيا نفس الممثلة التي لعبت دورها.

لوسيندا : كتبتُ قصيدة قبل كتابة هذا النص المسرحي ـ نسخة خيالية أخرى ليومها الأخير. في الوقت الذي كنت لا أعرف فيه إلا القليل جدا عن هيباتيا، وما زلت لا أعرف إلا القليل. ولم يتبق لنا سوى القليل من أعمالها لنعرفها. يجب علينا، بالضرورة، أن نخترع حقيقتها.

عاصفة تهب عاتية في روحك

كسحابة غبار قاتم تتخمر في الأفق

رياح الصحراء اللافحة تهب في مسارك

رغم أنها لا تعرف تعقيدات الهندسة

سرعان ما اجتاحت بوابات أكاديميتك

بشجاعة دائمة، أسرعتِ لأجل نظرة عن قُرب

على غضب زيوس. وناديتِ تلاميذِك

ورغم تآلف عقلك مع عقل أفلاطون

فقد ألقيتي درسك الأخير بأسلوب أرسطي

مشائية تتجولين عبر الأديرة التي تعصف بها الريح

"أكثر البشر لا يعلمون ما ينتظرهم من مصير"

ربما قلتِ وأنت تنظرين إلى الوجه المكترث والممنون لطالب]

ذكَّركِ بسينسيوس

مثل كاساندرا[1] غافلة عن نذيرها المفاجئ

ما كاد درسك ينتهي، حتى قدم رسول

بأنباء تحطم قلبك:

وقع أبوكِ من أعلى الدَّرج

في المكتبة حيث يعمل

ونادى على ابنته الفيلسوفة

في النظريات الثرثارة الهاذية

تمنى أبوكِ رؤيتك قبل أن يُسْلم الروح

خيول جفلة تنتظر عند أبواب معبد معارفك

ومركبة لتأخذكِ إليه

لم تفكري مرتين. وركضتي إلى الخارج في كرب

لتمدي يد الحكمة لأبيكِ المحتضر

---

[1] **كاساندرا**: في الأساطير الإغريقية هي ابنة ملك طروادة، وكان أبولو يحبها، فوعدها بنعمة التبصر والتنبؤ إن استجابت لرغباته، فوافقت، لكن ما إن حصلت على الموهبة حتى سخرت من أبولو وطلبه، ورفضت تحقيقه. فانتقم أبولو بأن جعل كل تنبؤاتها تكذّب. **[المترجم]**

لكنه كان فخا نصبوه لكِ

ليأخذوا بكِ إلى مخالبهم الوحشية

لم تكن حياة أبيكِ المعرضة للخطر

بل حياتك أنتِ هيباتيا

هاجم الرعاع الغضبى مركبتك

مثل كلاب مسعورة

وجذبوكِ في الليل

وأطلقوا خيولك الخائفة

وقيدوكِ إلى عجلة محلولة

وجلبوا أجولة مليئة بالحجارة

وأصداف محارات

ليسلخوا جلدك بها. وقالوا عن أنفسهم، تصوَّرِي،
أتباع المسيح.
زمجر الرعاع المخبولون بكلمات لُقنت لهم

وأمطروكِ بتلك الأشياء المميتة

وقالوا عنكِ: وثنية

تعبد هيرمس، الإله الزائف.

وقالوا إنك تستحضرين أرواح الموتى

من أساتذة اليونان، عندما تقومين بالتدريس

وأن دروسك كانت ملاذا للفجور

وأنكِ تأرجحتي عارية مثل محظية

بين أذرع طلابك الصبيانية

وبشَّرتي بأن أرواحنا تحيا عدة حيوات

وأنكِ عشت حيوات سابقة كرجل

وأنكِ كنتِ تلميذة لسافو[1] المتوحشة

أنه لابد وأنكِ خنثى

لأنه لا يمكن لامرأة أن تكون بهذه الحكمة

وأنكِ سخرتِ من رب موسى الغاضب

وزعمتي أنه كان عفريتا لإخافة الأطفال الصغار

---

[1] **سافو**: شاعرة إغريقية ولدت في جزيرة لسبوس في بحر إيجة باليونان بين عامي 630 و612 قبل الميلاد، وتوفيت عام 570 قبل الميلاد. كانت تعبر في قصائدها عن ميلها إلى النساء. **[المترجم]**

فجأة، لم تعودي تسمعين، ووجهكِ صار جرحا مفتوحا

مسيح أنثى من دون تاج من الشوك

قبل أن تستقر الغيبوبة وتمسح حواسك

ما زال لديكِ وقت للتساؤل:

لماذا يجب أن أتخلى عن جسدي

مع كل هذه المعاناة والإذلال؟

هل كان الحظ متقلبا هكذا

حتى يكون موتي بهذا الثِّقَل؟

لا، يا أفلاطون، لقد كنتَ مخطئا!

إذا ما كنت خبرت بنفسك عمق مثل تلك السكرات

لعلمت أن الشر ليس

مجرد غياب للخير

الشر وجود في ذاته

له وجه، فارغ ومعتم

الشر موجود، وله أصل

الشر مكتوب في مخطوطة الخلق

ألقى به الإله الأصغر الذي صنع هذا الكون

الشر، الشر...

إنهم يواصلون قتلَك حتى بعد موتِكِ

تستحوذ عليهم شياطين مبهمة

مزقوا جسدَكِ العاري، نبتات متعطشة للدماء

وعرضوا جثتكِ الممزقة كغنيمة صيد

وادَّعى جلادوك أن فعلتهم القبيحة لأجل المسيح

لكن من يقدر على مقاربة تلك الأفعال الوحشية

مع أسطورة الناصرة للحب المؤلم؟

درسكِ الأخير هيباتيا

مثل سقراط؛ كان موتكِ

لا كأس شوكران هذه المرة، بل مجرد دم

دماء جسدك الممزق

يتشربها الرمل

غبار الإسكندرية

من هذا العالم الموبوء طُردت روحك

كنتِ أكثر من اللازم له، ضوء أكثر مما يمكنه احتماله

بكتكِ السماء بدموع ممتدة

وأطلقت في الطرقات عاصفة عنيفة

وسرعان ما غسلت الأمطار آثار تلك الجريمة

من الشوارع حيث سُحب جسدكِ الدامي

وأتخمت بقاياكِ جوع الكلاب الضالة

وتلاميذك، في اليوم التالي، أنتيجون[1]

وطأوا المدينة المبتلة خائفين

---

[1] **أنتيجون**: كما جاء في مسرحية سوفوكليس "أنتيجون"، هي ابنة أوديب، تقاتل أخواها إتيوكليس وبولينيس على حكم طيبة، وماتا، وجاء كريون، الملك الجديد، فدفن إتيوكليس، ومنع دفن بوليونيس (وهو ما يتعارض مع العقيدة الإغريقية بوجوب دفن الموتى) تتمرد أنتيجون على الحكم المستبد، وقرار الملك، فيأمر بدفنها حية. **ومن هذا يتضح المعنى الرمزي من تشبيه هباتيا بأنتيجون.[المترجم]**

لكنهم لم يجدوا ما يضعوه في قبركِ

ولو عظمة يأخذونها من بين أسنان كلب

وبين من الحزانى لفقدك كان شخص يحدّق في الليل

ويداه مرفوعتان إلى السماء]

مانحا السكينة لجميع العاجزين:

ـ انظروا، أصدقائي، رفاقي في هذا الألم

هيباتيا الآن نجمة حية

شرارة إلهية تعود إلى مسكنها السماوي

بعيدا، فيما وراء عالم الموت والوهم

لم تترك شيئا من جوهرها في السجن اللعين لهذا العالم

فقط ذكراها داخلنا، من أحببناها بإخلاص

خاتمة

تعاود لوسيندا الكتابة على اللابتوب، وتراقبها هيباتيا عن قرب.

لوسيندا : هكذا تنتهي المسرحية، بقصيدة مرعبة. لكني ما زلت أرغب في معرفة المزيد عمَّن كنتِ، هيباتيا. لقد أعدت إنشاء اليوم الأخير الذي أمضيته في الأرض مرتين معي، لكن ما أردته حقا أن أستمع لدرسك، وأن أرى أفكارك متحققة. أنا لم أعرفك قط...

هيباتيا : لا تقلقي، لوسيندا. ما أَلَّفناه سويا كافي بالنسبة لي، أن يتم تذكُّري من جانب القلة من الناس. كل من سيشاهد تلك المسرحية سيمكنه تخيل هيباتيا الخاصة به. من الآن فصاعدا، سيكون هناك طيف لي،

سيعمل على أن يكون شعور الوحدة، لدى كل من
في هذه الحجرة، أخف وطأة.

النهاية

درسكِ الأخير هيباتيا

مثل سقراط كان موتكِ

لا كأس شوكران هذه المرة

بل مجرد دم

دماء جسدك الممزق

يتشربها الرمل

غبار الإسكندرية

من هذا العالم الموبوء طُردت روحك

كنتِ أكثر من اللازم له

ضوء أكثر مما يمكنه احتماله

بكتكِ السماء بدموع ممتدة

وأطلقت في الطرقات عاصفة عنيفة